

قال عليه الصلاة والسلام « ان للاسلام صوى » ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ ربيع الاول سنة ١٣٥٤ برج السرطان سنة ١٣١٣هـ ش ١ يوليو سنة ١٩٣٥

﴿ فاتحة المجلد الخامس والثلاثين ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمؤمِنُونَ • وَسَتُرَدُّونَ إلى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إلا القَوْمُ الكَافِرُونَ • وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إلا القَوْمُ الضَّالُّونَ ؟

نرجو ان ندخل بهذه السنة فى عهد جديد لدعوة القرآن نفتتح بها المجلد ٣٥ من المنار والمجلد ١٣ من تفسير القرآن الحكيم ,والطبعة الثالثة من كتاب الوحي المحمدي ، بعد أن بينا للمسلمين فى السنين الخالية جميع الاسباب والعلل التى فقدوا بها هداية دينهم ومجد ملكهم وحضارته بالاعراض عن تدبر القرآن وجميع مايجب عليهم من علم وعمل لاستعادة ذلك بالقرآن، وإقامة الحجج والآيات على ذلك من كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) فى تبليغه وتنفيذه، وسنة خلفائه الراشدين فى فتوحه وتأسيس دولته وإقامة

أحكامه بين الشعوب المتباينة الاجناس واللغات ، والملل المختلفة الاصول والمذاهب والحضارات ، وانما نذكر القراء بخلاصة من ذلك

أمة موسى وأمة محمد والتوراة والقرآن

فى مدة أربعين سنة انقرض جيل من بنى اسرائيل فى التيه ونشأ جيل آخر : انقرض الجيل الذى تعبده فرعون واستذله فقال زعماؤه لموسى لما دعاهم إلى دخول الارض المقدسة التى كتبها لهم ووعدهم بالغلبة على أهلها إذا دخلوها — (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ونشأ جيل جديد أخذ التوراة بقوة ودخلوا البلاد ففتحها الله لهم كما وعدهم

وفى عشرين سنة أسس محمد رسول الله وخاتم النبيين (ص) بدعوته دينا كاملا وأمة متحدة ودولة قوية عادلة فقدر فى الجيل الاول من قومه بالقرآن من أول يوم فأخرجهم بدعوته من الظلمات إلى النور فى عشر سنين ، وفتح بهم جزيرة العرب فى عشر سنين ، وفتح خلفاؤه من بعده ملك كسرى وقيصر فى عشرين سنة ، ولم ينقض القرن الاول من هجرته إلا وقدتم لامته نشر ملكهم ودينهم من آخر حدود أوربة فى الغرب إلى جدار الصين فى الشرق ، وأدى لهم فغفور الصين الجزية

بماذا فعل المسلمون هذه المعجزات فى الفتح الدينى الاجتماعى السياسى ؟ مافعلوها إلا بأخذهم القرآن بقوة كما أخذ بنو اسرائيل التوراة بقوة ، وكان تأثير كل من الكتابين بقدره : التوراة هداية لشعب صغير وعد بوطن صغير إلى أجل معلوم ففتحوه وتمكنوا فيه إلى أجل معلوم ، ثم عاقبهم الله بظلمهم وإفسادهم فى الارض فسلط عليهم من شاء من عباده الى أجل آخر ثم سلب ملكهم بغيهم ، والقرآن هداية عامة لجميع الشعوب والقبائل وعد أهله بخلافة الارض كلها (٦:١٦٥ وهو الذى جعلكم خلائف فى الارض ٢٤: ٥٥ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) ووفى لهم بما وعدهم فى أكثر الارض التى عرفوها ما أقاموا القرآن باقامة الحق والعدل فى الناس والشكر لله ، ثم سلب منهم أكثر ما أعطاهم بكفر هذه النعمة ، والفسوق عن هذه الهداية ، ومن العجب أن يفعل اليهود اليوم ما لا يفعل العرب لاستعادة مجدهم

ولكن أمة محمد ليسوا شعبا صغيراً كقوم موسى (عليهما الصلاة والسلام) بل أمة دعوته جميع البشر وأمة الاجابة لهم المهتدون بالقرآن وسنته فى إقامته، وما وعدهم به هو الارض كلها لا أرض فلسطين، ودينهم عام باق الى يوم القيامة لا خاص موقت محدود

فتح العرب العالم بالقرآن

إن المسلمين كفروا هذه النعمة قبل أن يتم لهم فتح أكثر الغرب كما فتحوا أكثر الشرق، بأن استبدلوا بهداية القرآن بدعا سرت اليهم نظرياتها الباطلة من الأديان والفلسفة والآداب التى كان عليها الشعوب التى فتحوا بلادها بقوة القرآن لا بقوة السيف والسنان، فقوة العرب الحربية كانت دون قوة الرومان، ودون قوة الفرس، اللتين كانتا اقوى دول الارض، وكان يدين لهما كثير من العرب المجاورين لبلادهما، وكانت أضعف من البربر في شمال افريقية ومن القوط (والاسبانيول) فى غرب أوربة، ومن الغال في جنوب فرنسة من الغرب، ومن الهنود فى الشرق، وناهيك ببعد المسافات بين جزيرة العرب وبين هذه الاقطار. وما يزعمه بعض الافرنج ومقلديهم من ان سبب فوز العرب بذلك الفتح السريع الواسع هو ما كان طرأ على تلك الدول والامم من الفساد والضعف فهو تعصب ظاهر فيها تكن عليه تلك الامم من ضعف وفساد فالعرب كانوا أفسد وأضعف من كل واحدة منها قبل الاسلام وبه سادتها كلها؛ وما هو الانور القرآن

عصر الصحابة ومنتهى علمهم

ان الصحابة الكرام (رض) هم الذين اسسوا هذا الملك الاسلامى العظيم العادل الرحيم، فيما يسمى العالم القديم، وكان أكثرهم أميين، لم يكن عندهم كتاب يهتدون به فى فتوحهم وحكمهم إلا هذا القرآن وحده. وما كانوا يعتمدون فى فهمه إلا على ملكة لغته وما بينه لهم النبى (ص) من هداية القول والفعل وهو سنته وهديه، وتلاهم التابعون الذين حفظوا عنهم القرآن والسنن والآثار فكانوا فى الدرجة الثانية لدرجتهم ايمانا وعلماً بالاسلام وعملا وتخلقا به وجهاداً فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وفتحاً للامصار وحكما بين الناس بالحق والعدل، وقل فيهم الاميون وكثر المتعلمون، ولكن لم يكن فى أيديهم كتاب غير القرآن يهتدون به فى تزكية أنفسهم وإصلاحها، ويهدون به غيرهم من الشعوب التى كانت تدخل فى دين الله أفواجا. ويجدون الاسلام خيراً مما كانوا عليه هدى وصلاحا وعلماً وعدلا وأدبا وفضلا

عصر التابعين في هديهم وحكمهم وفتحهم

وبدأ التابعون بكتابة السنن والآثار حفظاً لها من الضياع بيد أنهم لم يتخذوا منها كتابا مدونا مع القرآن يدينون الله بالعمل به فى عباداتهم الشخصية وفى قضاء حكومتهم وسياستها. بل ظلوا يهتمون بالقرآن وبما كان عليه الصحابة من سنن النبي (ص) وهديه وبسيرة خلفائه الراشدين فى الفتح والسياسة والقضاء ، ومن ذلك الاجتهاد فيما ليس فيه نص قطعي من القرآن او سنة عملية لا تختلف فيها الافهام والآراء : اجتهاد الافراد لأنفسهم فى الأحكام الشخصية الخاصة ، واجتهاد أولي الامر من الأئمة والقضاة وقواد الجيوش فى الاحكام العامة . مع مراعاة الشورى فيها ، فكانوا على منهاج الصحابة فى ذلك كله ، وناهيك بكتب عمر وعلي الى عمالها ككتاب عمر الى شريح فى القضاء. وكتاب علي الى الاشتر النخعي فى السياسة العامة

عصر العلم وما يجب من النظام الواقي من الشقاق فيه

ثم جاء عصر التدوين والتصنيف للحديث والسير والآثار والفقه ، وتلا ذلك تدوين اللغة وفنونها ووقائع التاريخ ، وترجمة علوم الاوائل بأنواعها كالرياضيات والتاريخ الطبيعي والطب والفلك والفلسفة بأقسامها والتصوف بنوعيه الخلقي والفلسفي ، ودرسوا هذه العلوم واجتهدوا فيها ونقدوا ونقحوا وأتموا ما كان ناقصا وزادوا على من كان قبلهم ، عملا بارشاد القرآن الى النظر فى آيات السموات والأرض وما بينهما وما خلق الله من شيء وسنن الله فى الأمم

كان من سنة العمران وطبيعة الاجتماع فى ذلك أن تصير علوم الدين والدنيا كلها فنوناً صناعية ، وأن يختص بكل جنس منها طوائف من الناس للتوسع والنبوغ فيها ، وأن يكون لكل منها تأثير فى أنفس التابعين فيه قد يعارض غيرهم باختلاف الفهم والقصد من العلم وموضوعه وفائدته

وكان يجب فى هذه الحال أن يكون للتعليم نظام جامع يوجه كل علم الى الغاية منه دينية كانت أو عقلية أو عملية كما أرشد اليه القرآن الحكيم ، وأن يظل القرآن والاسوة بالرسول (ص) فى تبليغه وتربية الامة كما كان فى عهده وعهد خلفائه الاربعة هديا إلهيا عمليا لانزاع فيه ويتنزه عن أن يكون صناعة بشرية ، وفناً جدلياً يضرب بعضه

بعض لتأييد المذاهب والشيع الدينية والسياسية ، وأن تكون حرية الدين على أكملها فيما هو من كسب البشر ونتائج أفكارهم وأفهامهم ، فالاسلام أباح لأهله الحرية في هذه دون ما هو فوقه وفوق كل شيء بشري وهو كلام الله اليقيني القطعي الرواية والدلالة من الدين الذي شرعه الله لهم ، وأما ما كان ظني الرواية او الدلالة منه فقد اباح لهم الاجتهاد فيه بشرط أن لا يكون اختلاف الفهم والرأي سبباً لتفرق الامة والشقاق بين أهلها . ولو فعلوا ذلك لاتقوا الشقاق والتفرق بما حدث من البدع في الدين، ولكنهم لم يفعلوا فضلوا وابتدعوا ، فتفرقوا واختلفوا . وفسقوا وضعفوا

كان هذا التأليف بين العلوم والفنون والدين أول واجب على الامام الاعظم خليفة المسلمين ولكن خلفاء العباسيين أطلقوا العنان اولا فلم يقوموا بالواجب ثم نصروا بعض المتفرقين في الدين على بعض بما أضعف سلطان الدين في الهداية . وفوائد العلوم والفنون في الحضارة . وأين المعتصم العامي وكذا المأمون العالم المتفنن أن يفهم حكمة امير المؤمنين عمر بن الخطاب في عقاب صبيغ المجادل المشكك في القرآن ونفيه من المدينة الى البصرة وأمر الناس بهجره حتى تاب ، تلك جناية فوضى العلم في العرب وجنايتها على هداية القرآن بالابتداع والتفرق والاختلاف

حضارة العرب وتأثير الاسلام فيها

وقد كانت للمسلمين من جملة ذلك كله حضارة عربية زاهية زاهرة ، جمعوا فيها بين زينة الدنيا ونعيمها والاستعداد لسعادة الآخرة . ألطف مثل لها ما حكي عن امرأة كانت ترفل في حليها وحللها مخضبة الكفين مطرفة البنان وهي تسبح الله تعالى وتذكره ، فرآها رجل ناسك فقال لها ما هذا مع هذا ؟ فقالت

ولله مني جانب لا أضيعه   وللهو مني والخلاعة جانب

وكانت قيانهم ووصائفهم تحفظ القرآن وتروى الحديث بالأسانيد وتنظم الشعر وتلحنه ، وما كان من إسراف بعضهم وفسوقهم تجد تجاهه غلو آخرين في دينهم ، وانقطاعهم إلى العبادة وجهاد النفس بحرمانها من الطيبات المباحة

كان أهل بغداد في عهد حضارة العباسيين يتنزهون في زوارق دجلة أصيل كل يوم كما يتنزهون في هذه الأيام . فاتفق أن اقترب زورقان منها في أحدهما مغن يعزف على عوده وفي الآخر قارىء يرتل سورة التكوير ، فأنصت المغني واستمع للقرآن يتدبره ، حتى إذا بلغ القارىء قوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) ضرب بعوده جانب

الزورق فكسره ورماه في دجلة خاشعاً متصدعا من خشية الله ، فكان ترتيل القرآن أفضل في نفسه من توقيع الألحان ، ومثل هذا لا يقع الآن والقوم هم القوم ولكنهم ضعفوا في لغتهم ، فلم يبق للقرآن سلطان على قلوبهم ، رغبوا في الدين والحضارة معا لغرم السماع بعضهم واتخذه آخرون عبادة

لو جرى المسلمون في حضارتهم وعلومها وفنونها على صراط القرآن بكفالة الخلافة لاستفادوا من فلسفة اليونان وتصوف الهند وفنون الروم والفرس وصناعاتهم وتنظيم حكومتهم ما يزيدهم إيمانا بالله وبصيرة في دينه وقوة في دولتهم ، واعتدالا في نعمة حضارتهم ولما وجدت بدع النظريات الفلسفية والصوفية وفتن السياسة الشعوبية سبيلا إلى التفريق بينهم في دينهم وحكمهم ، ولكنهم نكبوا عنه فانقلبوا بعد ألفتهم وتوادهم وتواددهم أعداء يتنازعون في متشابه القرآن الذي ألف بين قلوب سلفهم بعد تعاديهم وتقاتلهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا ، وهم يقرؤن قوله عز وجل (٣ : ٧ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) الآية وقوله (٢ : ٢١٣ وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم) الآية ، وقوله (٤ : ٥٨ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا)

سنن الاجتماع في قلب الاسلام لنظم الأمم السريع

كل ما جرى للأمة الاسلامية كان مقتضى سنن الاجتماع في دين قلب نظم الأمم والملل كلها فأديانها ودنياها في جيل واحد ، ودخل فيه أفواج لا تحصى من كل جنس وكل ملة وكل حضارة وكل بداوة قضى شرعه أن يكونوا إخوانا متساوين في جميع الحقوق لا يتفاضلون إلا باستعدادهم الشخصي ، فنهم من فهمه بلغته وثقافة من جاء به ، وهم العرب لأنه لم يكن عندهم ما يزاحمه من التقاليد الدينية والعادات المدنية ، بل كانوا كما قيل

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

ومنهم من لم يفهم منه إلا بعض تقاليده الظاهرة ، ولم يره إلا في مرآة ما كان عليه قومه من دين وحضارة ، ومنهم من كان مخلصا فيه ومن كان يكيد له عصبية لقومه وملته ودولته التي قضى عليها ، ومن كان يبتغي به الحياة الدنيا وسلطانها وزينتها ، ومن كان يريد به وجه الله والدار الآخرة

حكمة الله في ترتيب الخلفاء الاربعة

وكان من حكمة الله ورحمته أن خلف رسول الله (ص) فيه خير أصحابه علما وحكمة واخلاصاً ليكونوا قدوة لمن بعدهم وحجة لله عليهم ، وألهم أهل الحل والعقد أن يقدموا أقصرهم فأقصرهم عمراً من حيث لا يدرون لتستفيد الأمة من كل واحد منهم، وهذه حكمة ألهمنيها الله تعالى إياها منذ عشرات السنين لم أروها ولم اسمعها من أحد ، وهاك وجه كل واحد منهم (رضى الله عنهم أجمعين)

قدموا أبا بكر أولا فكان فى عهده تمحيص الأمة العربية وتصفيتها من النفاق والضعف وكان هو أولى الناس بتنفيذ هذه التصفية فى حروب الردة ودعوى المتنبئين النبوة وبقايا العصبية الجاهلية ، وهو مشهود له بأنه كان أعلم الناس بأنساب العرب وأخلاقهم وأحوالهم ، فتم ذلك بسياسته على أكمل وجه

وخلفه عمر فكان فى عهده فتح الأمصار والقضاء على ملك كسرى برمته، وملك قيصر الروم فى الشرق كله، والاستيلاء على الأمم والملل الكثيرة وخضوعها للاسلام فى دينه وحكمه أو فى حكمه فقط . وقد ظهر لجميع الأمم فى عهده ومن بعده أنه خير من قام بهذا الفتح وتنظيمه علما وعقلا وعدلا وقوة وإخلاصا

فبحكمة أبي بكر صارت الأمة العربية أمة واحدة موحدة متفقة ، وبحكمة عمر صارت أمة فاتحة حاكمة عادلة مصلحة للبشر . ولما كان من سنن الاجتماع أن يظهر فى هذه الدولة العربية ما هو كامن فى بعض أهلها من الاستعداد للفتن والمطامع ، وما ينفخ فى ضرمه خصومها الذين قضت على ملكهم ، ومن المصلحة أن يظهر حكم الاسلام فى إخماده بالحق والعدل ، ألهم الله أهل الشورى أن يقدموا عثمان على علي ، وجل عصبة الأول من بنى أمية الطامعين فى الملك ، وجل عصبة الثاني من بنى هاشم الذين يغلب على أكثرهم الزهد فى الدنيا . وقد كان بينهما فى الجاهلية ما كان من (التنازع والتخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم) الذي ألف المقريزي فيه مصنفا خاصا بهذا الاسم

كان عثمان على عدله وفضله شديد الحياء لين العريكة ، فغلبه قومه على وصية عمر السابقة الحكيمة له بأن لا يحمل أبناء أبي معيط على رقاب الناس، فركبوا الرقاب من غير أن يحملهم هو عليها ، فنجمت رءوس الفتنة فى عهده وكان كارها لها، إلا أنه لم يستطع كبح جماحها، فكان شهيد أول ثورة على ولي الامر فى الدولة العربية ، وكان هذا أشد أسوة فى الحكم الاسلامي

ثم جاء علي ونار الفتنة مشتعلة وكان أولى إمام في الأمة أن يقاومها علماً وعدلا وإيثاراً للحق على الخلق ، وللهدى على الهوى ، ولو لم يكن لها في تأخر زمنه وقد أطال الله عمره إلا هذه الحكمة والرحمة لكفى ،فهو قد سن من سنن الحق والعدل في قتال البغاة والخارجين على حكم الاسلام ما لم يكن يرجى من غيره مثله، وخيرها اتقاء تكفير أهل القبلة بخطأ الاجتهاد كما كان هذا التكفير شر ما فعلوه.فالايمان والكفر إنما يكونان بالقطع لا بالاجتهاد

وقد بينا من قبل أن التنازع في الامامة بين شيعة علي وجمهور الأمة قد كان تنازعا بين ما يسمى في هذا العصر السلطة الارستقراطية أي حكم الأشراف ، والسلطة الديمقراطية أي حكم الامة الشوري الانتخابي ،ولذلك كان أشد أنصار الشيعة من بعده الاعاجم الوارثين للعبودية للملوك . وأن عليا لو ولي الأمر من أول الامر بسبب قربه من النبي (ص) أو بحجة وصيته له ولذريته من فاطمة بنت الرسول (ص) لكانت فتنة عبادته وعبادة آله ودعوى عصمتهم قضت على توحيد الاسلام من اول وهلة إن ثبتت

استحالت خلافة النبوة بعد علي والحسن (ع . م) ملكا عضوضاً كما ورد وهو من سنن الاجتماع، وكان معاوية وقد صفا له الملك من أقدر قريش على استمرار الفتح ، وتوسيع دائرة الدولة وعظمتها،ولكن تحويل زعيمهم الأول(معاوية)لحكم الاسلام الشوري (الديمقراطي) إلى عصبية النسب (الارستقراطية) كان سنة سيئة دائمة قضت على دولتهم قبل أن يتم لها قرن كامل ، وهم الذين أحدثوا بسياستهم الجنسية فتنة الشعوبية فكانت عاقبة هذه العصبية أن آل الحكم إلى الأعاجم ، وصار قائماً على قوة العصبية دون أصل الشرع ، وزال سلطان الامامة الديني الذي تخضع الأمة لهبوازع العقيدة . فصار الحكم الاسلامي عسكريا مذبذبا لا ارستقراطيا ولا ديمقراطيا

هذه جملة أسباب ترك الدول الاسلامية لهداية القرآن وهداية السنة وجماعة الامة ولو ظلت الأمة متبعة لها لأكرهت الدولة على هذا الاتباع في أي وقت تجتمع به كلمتها ، ولكن جمهور الأمة تحولوا عن هذا الاتباع بفساد التعليم وتقصير العلماء في بيانه والدعوة إليه والعمل به ومطالبة الحكومات بالتزام هدايته بل إلزامهم إياها بنظام تكفله الامة ، وتيسير السبيل لذلك بجعل لغته ملكة راسخة في الأمة بتعلمها بالعمل كما كان عليه أهل العصر الأول ، ولم يفعلوا شيئاً من هذا وهو الذي إضاع حكم القرآن من ناحية السلطان

إضاعة علماء النقل والعقل للقرآن

تقدم أن سنة العمران اقتضت الاختصاص في العلوم وانفراد طوائف تعنى بكل علم منها بمقتضى جعلها من الصناعات فعلماء الرواية عنوا بتدوين ما نقلوه عن التابعين و بعض الصحابة من تفسير القرآن وأكثره مراسيل لاتصح ، واسرائيليات يجب نبذ ما تصح روايته منها بله ما لاتصح، وعني الفقهاء بآيات الاحكام دون غيرها، والمقلدون منهم حاولوا جعلها حجة لمذاهبهم على ماخالفها ولو بالتأويل، وكذلك علماء الكلام حتى انهم يفسرونه بنظرياتهم الفلسفية واصطلاحاتهم المخالفة لأصل اللغة، ويوجبون تأويل كثير من ظواهره لدعواهم أن العقل يثبتها دون اعتقاد الظاهر وإن وافقته الاحاديث الصحيحة ، ويعنون بالعقل الذي خاطبه القرآن نظرياتهم الفلسفية، وعلماء الفنون العربية يجعلون أكبر همهم من تفسيره إعرابه وبيان نكت البلاغة في آياته ، وكل ذلك شاغل عن تدبره وهدايته ، وكان الواجب وضع كل شيء من ذلك في كتب الفن الخاصة به

ثم استقر الرأي العام عند جماهير المسلمين بعموم التقليد على أن عقائد الاسلام يجب أخذها من كتب الكلام، وأحكامه من كتب الفقه المذهبية، وآدابه وأخلاقه من كتب التصوف ، وبهذا أمست فائدة القرآن محصورة في التبرك به والتعبد بتلاوة ألفاظه ندبا لا وجوبا بغير فهم له ولا عمل به، بل لما ورد من أن لتاليه بكل حرف عشر حسنات، وأنه لا يفترض على مسلم أن يعلم أو يقرأ منه شيئا إلا ما تصح به صلاته كسورة الفاتحة ، بل هبط بكثير منهم الجهل بالقرآن والاعراض عن القرآن والكفر بالقرآن ان حرموا أخذ الدين من القرآن حتى كتب بعض من يسمونهم كبار العلماء حديثا ان الايمان بظاهر القرآن في بعض آيات الصفات هو الكفر الصراح ! يعني الخروج من الملة الذي يخلد صاحبه في النار ؟ (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا * إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ – أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا القَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ)

القرآن لا تغني غناءه جميع كتب الاسلام

كلا، فوحق القرآن إن جميع ما كتبه علماء الكلام لا يغني عن سورة صغيرة ولا عن آية من آيات القرآن في بيان أصل الدين الذي هو التوحيد فضلا عن جميع عقائد الاسلام، وإن جميع ما كتب المفسرون من المحدثين والمتكلمين والفقهاء والصوفية والبلغاء في تفسير القرآن وفي الفقه والتصوف لا يغني عن تدبر القرآن نفسه في هداية الافراد ولا الجماعات في انفسها ولا الأمم والحكومات في حضارتها وسياستها، وإنه ما سلب الله أكثر المسلمين ملكهم وعزهم وقوتهم إلا عقوبة على إعراضهم عن القرآن، والاستغناء عنه بكتب للبشر ما أنزل الله بها من سلطان، يصدق عليهم به ما قاله في الذين من قبلهم (٣ : ١٨٧ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ)

اطلت في بيان اسباب اعراض المسلمين عما كان عليه سلفهم الصالح من هدى القرآن بغير قصد، وبغير شعور بأنني أطلت، وإنما كنت أريد أن أقول إن بعض علماء التقليد الرسميين ناصبوني العداوة في الدعوة الى القرآن والسنة وحضارة الاسلام، وناهضوا المنار بدعاية سرية وجهرية في داخل الأزهر وخارجه بشبهة دعوى الاجتهاد الذي أقفل بابه على انفسهم أمثالهم من المقلدين الجاهلين، وأتى على تفنيد شبهتهم بالحجج الناهضة في محاورات المصلح والمقلد التي نشرتها في المجلدين الثالث والرابع من المنار في سنتي ١٣١٧ و ١٣١٨ وفي مقالات وفتاوى كثيرة بعدها في عشرات المجلدات — كنت أحاول إقناعهم بأن هداية القرآن لا يستغني عنها مسلم مجتهد ولا مقلد لأنه حبل الله الذي أمر عباده بالاعتصام به، فكل من ترك هذا الاعتصام فقد قطع الصلة بينه وبين ربه في الدين، والرحمة الخاصة بالمؤمنين، وأن ما أدعوا اليه من استقلال الفهم وقصد الاهتداء بالكتاب والسنة لا يستلزم دعوى مايسمى الاجتهاد المطلق، ولم يفهم مرادي هذا إلا أفراد متفرقون في الاقطار، وقبله كثيرون على إطلاقه حتى بمعنى الاجتهاد، وكاد الجيل ينقضي وهو يدور بين بعض مستقلي الفهم، ولم يظهر للدعوة المرادة أثر عام ينتشر في بلاد الاسلام، حتى كان من تأثير كتاب (الوحي المحمدي) في هذين العامين ما كان،

وهو ما نوهنا به في تصدير الطبعة الثالثة التي نشرناها في هذا الشهر ، وصرحنا فيه بأنه حدث لنا به أمل جديد في حياة المسلمين الملية لا تعرف حقيقتها إلا بتجربة عملية جديدة ، وهو ما عزمنا عليه في هذه السنة

الدعوة الجديدة هي أساس الاصلاح كله

سيكون المنار منذ هذا العام لسان جماعة للدعوة إلى الاسلام وجمع كلمة المسلمين أنشئت لتخلف جماعة الدعوة والارشاد في أعلى مقصديها أو قاعدتا التعليم الاسلامي المدرسي منه الذي ضاق زمان هذا العاجز عن السعي له وتولي النهوض به فتركه إلى ان بعده التوفيق الالهي له من الذين يفقهون دعوة القرآن وتوحيده ووحدة أهله وجماعته ، ولا يصلح له غيرهم

لما ألفنا جماعة الدعوة والارشاد وأنشأنا مدرستها وجدنا عقلاء المسلمين وأذكياءهم في مصر واستانبول وأمصار الهند الاسلامية الكبرى وبغداد وسورية متفقين على أنها أعظم عمل إسلامي لا يرجى الاصلاح المنشود بدونه ، حتى إن كبار رجال الترك أكبروه وعلموا أنه يحيي الدولة العثمانية حياة جديدة إذا هي كفلته ونفذته على الوجه الذي اقترحته عليها و قررته الجمعية التي أسست له من أذكى رجال الدولة ، ولكن زعماء جمعية الاتحاد والترقي الملاحدة منهم كانوا قد أجمعوا أمرهم على اسقاط دولة آل عثمان وخلافتهم وإقامة دولة تركية لادينية على أنقاضها ، ولولا ذلك لما منعوا الحكومة من تنفيذه بعد أن صدر به أمر مجلس الوزراء ، وقرر أن تكون نفقات المدرسة السنوية في ميزانية وزارة الأوقاف

وكان الأمير عباس حلمي باشا خديو مصر علم بالأمر وأكبره فلما عدت من استانبول والأمر مقرر رسميا اقتنع بأنه هو يكفل مساعدتي على تنفيذه في مصر وبأن الدولة العثمانية إن ارادت تنفيذه في استانبول فان من السهل أن يكون في كل من العاصمتين مدرسة تابعة لمقاصد الجمعية ومنهاجها ، فعملت وصدق هو وعده ، وفتحت المدرسة أبوابها لجميع الشعوب الاسلامية ، وتعاون على نفقتها ديوان الاوقاف الخيرية العامه ومصلحة الاوقاف (الملكية) الخاصة ، حتى اذا ما اشتدت سيطرة الانكليز على مصر في عهد الحرب الكبرى كادوا المدرسة كيدهم واوعز عميدهم إلى وزير الاوقاف (إبراهيم فتحي باشا) وكان من صنائعه فقطع الاعانة التي كانت قررت لمدرسة الدعوة والارشاد وبعد عودة الخديو الى مصر ، فاضطررت بعد صبر جميل الى تعطيلها

وجملة القول أني على هذه التجارب وما هو أوجع منها وألذع من أمر مشتركي المنار ، وعلى ما أقر به من عجزي عن النهوض بالأعمال المالية الخاصة والعامة بالأولى، وعلى دخولي في سن الشيخوخة وضعفها لم أزدد إلا ثقة ورجاء بنجاح سعي لأهم أصول الاصلاح الاسلامي وتجديد أمر الدين بما يظهره الله به على الدين كله، حتى تعم هدايته وحضارته جميع الامم ؛ ولم أيأس من قيام طائفة من المسلمين بذلك تصديقا بالبشارة رسول الله (ص) بأنه لا يزال في أمته طائفة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة . رواه الشيخان في الصحيحين وغيرهما بألفاظ من عدة طرق، وهذه الطائفة كانت في القرون الأخيرة قليلة متفرقة، وانني منذ سنتين أكتب عناوين خيار الرجال المتفرقين في الاقطار الذين أرجو أن يكونوا من أفرادها على اختلاف ألقابهم وصفاتهم وأعمالهم لمخاطبتهم في الدعوة الى العمل ، وأرجو من كل من يرى من نفسه ارتياحا إلى التعاون معهم على هذا التجديد والجهاد أن يكتب الينا عنوانه وما هو مستعد له من العمل معهم الى أن تنشر دعوتهم الرسمية

وأهم ما يرجى من الخير لأمة محمد (ص) في هذا العصر الذي تقارب فيه البشر بعضهم من بعض فهو في تعارف هذه الطائفة القوامة على أمر الله وتعاونها على نشر الدعوة وجمع كلمة الامة بعد وضع النظام لمركز الوحدة الذي يرجى أن تثق به فهي لا ينقصها الاعداء، وقد طال تفكيري فيه ، وعسى ان ابشرها قريبا بما يسرها منه ،

وأجمل بحمد الله تعالى ان تجدد لي على رأس هذه السنة ما كان لي ولشيخنا الاستاذ الامام (قدس الله روحه) من الرجاء في مركز الأزهر - وهو ما يعبر عنه في عرف عصرنا بشخصيته المعنوية - وقد قضى هو يائسا مما كان يحاول فيه ، وظللت أجاهد في سبيل إصلاحه على ما عرض من أسباب اليأس منه التي تفاقم أمرها أخيرا وكتبت فيها بضع مقالات في المقطم ثم (كتاب المنار والازهر) وما هذا الا انني لم أيأس ، وهذا الرجاء الذي تجدد بتوسيد أمره الى الشيخ محمد مصطفى المراغي عظيم أشرت اليه في تصدير الطبعة الثالثة من كتاب الوحي المحمدي بعد ان كتبت عنه في الجزء الماضي من المنار ما كتبت

كان الأزهر كنزا خفيا أو جوهرا مجهولا عند أهله وحكومته وعقلاء بلده لم يفطن أحد قبل الاستاذ الامام لامكان إصلاح العالم الاسلامي كله به، والاستيلاء على زعامة جميع الشعوب الاسلامية في الدين والادب واللغة بإصلاح التعليم العام فيه ، ولكن تعليم الامام رحمه الله وأفكاره هما اللذان احدثا هذا الرجاء في طائفة من شيوخه ، والاستعداد في جمهور طلابه ، ولم يبق إلا العمل الجد ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثالث عشر

من تفسير المنار

(٥٣ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي، إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ

هذه الآية تتمة إقرار امرأة العزيز على الراجح المختار وقيل من قول يوسف (ع.م) ورده عطفه على إقرارها وعطف أمر الملك بالاتيان به من السجن عليه، وقد جعلت أول الجزء، لأن تقسيم القرآن إلى الاجزاء والاحزاب مراعى به مقادير الكلم العددي دون المعاني، وهذا لا يمنع من يجعل ورده من القرآن جزءاً في كل يوم ليختمه في كل شهر أن يزيد أو ينقص في القراءة آية أو اكثر ليقف عند ما يتم به سياق سابق أو معنى فيه، ثم يبدأ بعده بسياق آخر أو معنى مستقل منه في ورد اليوم الذي بعده

تقدم أن قولها (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) يجوز أن يراد به يوسف (ع.م) لأن كلامها في جواب الملك عما سألها هي وسائر النسوة عن خطبهن في مراودته، ويجوز أن تعني به زوجها للعلم به من قرينة الحال وان لم يذكر، والأول أظهر، وهذه الآية في معنى الاستدراك على ذلك النفي فهي تقول

٥٣ ﴿ وما أبرّىء نفسي ﴾ في دعوى عدم خيانته بالغيب من كل سوء وعيب غير هذه الخيانة وما عرف أمره ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ أي النفس البشرية لكثيرة الأمر بعمل السوء بداعي الشهوات البدنية والاهواء النفسية

ونزغات الوسوسة الشيطانية، ومنها التحريض على سجن يوسف وسوء النية فيه، وكانت عمايسوء ويسوء الزوج من ناحيتين مختلفتين ، وعن ابن كثير ونافع قراءة (بالسو) بتشديد الواو على لغة من يقلب الهمزة واوا ويدغمها في الواو ﴿ إلا ما رحم ربي ﴾ أي إلا نفسا رحمها ربي برحمة خاصة فصرف عنها السوء والفحشاء بعصمته كنفس يوسف . هذا هو المعنى المتبادر من سياق القصة ، ويجوز في الجملة نفسها أن يجعل الاستثناء منقطعا بمعنى لكن رحمة ربي هي التي قد تكفها عن الأمر بالسوء أو تحفظها من إجابة دعوته وطاعة أمره ، وأن تكون (ما) زمانية ، والمعنى أن من شأن النفس أن تكون أمارة بالسوء في عامة الاوقات إلا وقت رحمة ربي الذي يوفقها فيه لمراقبته والاعمال الصالحة التي ترضيه ﴿ إن ربي غفور رحيم ﴾ تعليل للاستثناء بأن مقتضى مغفرته ورحمته تعالى ان يصرف بعض الانفس عن الامر بالسوء أو عن طاعتها فيه أو يصرف السوء نفسه عنها ويحول بينه وبينها ، وأن يغفر لمن يطيع أمرها فيقترف السوء ثم يتوب إليه منه

وقد أخذ علماء النفس وصفاتها من آيات القرآن أن أنفس البشر على ثلاث درجات أدناها الامارة بالسوء ، وأعلاها النفس المطمئنة بذكر الله الراضية منه المرضية عنده ، وهي التي يخاطبها تعالى في آخر سورة الفجر بقوله (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) الخ ، وبينهما التي سماها في أول سورة القيامة بالنفس اللوامة ، وهي التي تلوم صاحبها على كل ذنب وتقصير في طاعة الله ومعرفته ، ومن التقصير في طاعته التقصير في حقوق عباده الشرعية ولا سيما أولي القربى والجيران والمحتاجين إلى البر ، وكذا الحقوق العامة للملة والأمة . وبعضهم يجعل النفس الراضية والنفس المرضية قسمين من أقسام النفس المطمئنة ، وللفقهاء الصوفية تفصيل لهذه الانفس وتربيتها فيه علم يزيد المطلع عليه بصيرة في دينه وتربية نفسه ونفس غيره من ولد وتلميذ ومريد ومعرفة ربه

كان الفصل الاول من قصة يوسف (ع . م) في نشأته وما وقع بينه وبين أخوته وانتهى ببيعه بثمن بخس، والفصل الثاني في حياته الاولى في مصر وهو قسمان

أحدها في بيت عزيز مصر وثانيها في السجن ، وكانت هذه الاطوار كلها أطوار بؤس وشدائد ، رباه الله تعالى بها أكمل تربية ، وجعله خير أسوة لأفراد الناس في عفته ونزاهته وصدقه وأمانته وخير أهل لما بعدها من إدارة ملك مصر ، وإتمام النعمة عليه وعلى آل يعقوب كما تنبأ أبوه من قبل ،

(الفصل الثالث من قصة يوسف ، توليته حكومة مصر)
وما وقع لاخوته معه فيها

(٥٤ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٥) قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)

﴿ ٥٤ وقال الملك ﴾ بعد انتهاء التحقيق في أمر النسوة وظهور براءة يوسف فيه من كل سوء وهو ما اشترطه في قبول الدعوة أول مرة ﴿ ائتوني به أستخلصه لنفسي ﴾ أي أحضروه من السجن إليَّ وقد وفينا له بما اشترطه لمجيئه ـ أجعله خالصاً لنفسي لا يشاركني أحد فيه من وزير يدخل بيننا في إدارة الملك ولا حاجب يبلغه عني ويبلغني عنه ـ فأتوه به ﴿ فلما كلمه ﴾ وسمع ما أجابه به ﴿ قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ أي إنك في هذا الزمن لدى حضرتنا الملكية الخاصة ذو مكانة ثابتة ومنزلة عالية ، وأمانة تامة موثوق بها ، فأنت مفوض في إدارة ملكنا غير منازع في تصرفك ولا متهم في أمانتك ، وفي الآية تنبيه إلى تأثير الكلام في إظهار معارف الانسان وإرادته وأخلاقه وإقناع مخاطبه بما يريده منه

أخذ الملك استحقاقه لهذه الثقة من فحوى كلامه وما كان من أمانته في بيت وزيره العزيز على ماله وعرضه وحسن تصرفه في كل ذلك ، ومن سيرته الحسنة في السجن ، وما علم عنه فيه من علم وفهم ، وتأويل الرؤيا بما يعبر عن مغازيها ، ويرشد إلى ما يجب

من العمل فيما تدل عليه من التدبير، ثم ما كان من حرصه على إظهار شرفه وكرامته في مسألة النسوة، فدلته جملة هذه الاعمال والاحوال والاخلاق على ما إستحق به تلك المكانة والامانة. وهذا يدل على أن ذلك الملك كان وافر العقل، محبا للعدل، بصيرا بمزايا الرجال، وهذه الاخيرة يقل في الملوك من يقدرها قدرها، ويعطيها حقها، فلا تصرفه عنها الاحوال العارضة ككون الرجل غريبا أو اجنبيا أو فقيرا أو مملوكا أيضا، وما قام ملك ولا سقط الا بهم، وقد قال عمر إذ ظهر له خطؤه في تقدير رجل: رحم الله أبابكر كان أعرف مني بالرجال

والظاهر أن الملك كلمه مشافهة بدون ترجمان بينهما، وكذلك كان يوسف يكلم العزيز وامرأته من أول يوم، وكذا كلم النسوة اللاتي دعتهن امرأة العزيز لرؤيته عندها وصاحبيه في السجن بالاولى، وذلك أن لغة يوسف كانت فيما يظهر لغة جده ابراهيم وأولاده وأحفاده وهي لغة حكام وطنه الكلدانيين وكانوا من العرب القحطانيين، ثم تفرعت من هذه العربية الاسماعيلية فالمضرية والعبرانية والسريانية والفينيقية ، وكان ملوك مصر وكبراء حكامها في ذلك العهد من أولئك العرب أيضا وهم الذين يسمونهم الرعاة (الهكسوس) وفي التواريخ العربية أن ملك مصر هذا كان يسمى الوليد بن الريان ، ولو لا هذا وذاك لكان المتبادر أن يوسف تعلم لغة مصر في هذه المدة الطويلة في مصر وكان ملكيا بها ، على أن العربية أصيلة وعريقة في مصر لغة وأدبا ، وعرقا ونسبا ، وانما كان الفراعنة وأشياعهم يعدون ملوك الرعاة العرب غرباء وأجانب لعصبية الملك، وقد أثبت المرحوم أحمد باشا كمال العالم الاثري أن الهيروغليفية ممزوجة بالعربية المضرية من قبلهم، ولو عرفت العربية القحطانية القديمة لجاز ان تكون هي أصلها، ويرى بعض علماء الغرب أن اللغة العربية ما غلبت بعد الاسلام وثبتت إلا في بلاد الشعوب التي هي عربية الاصل أو للعرب فيها عرق واشج ، ونسب راسخ

﴿ ٥٥ قال اجعلني على خزائن الارض ﴾ هذا جواب سؤال تقديره ماذا قال يوسف للملك وقد سمع منه ما سمع ورأى من تأثير ثقاته وكلامه في نفسه ما رأى؟ أي ولني خزائن أرضك كلها أكن المشرف عليها لا تمكن من تنفيذ ما أولته من رؤياك بنفسي

فيكون منقذاً للبلاد والعباد من المجاعة والمراد بالخزائن - وهي جمع خزينة - الأهراء التي تخزن فيها غلات الارض أو ما يشمل كل منها ﴿إني حفيظ عليم﴾ أي شديد الحفظ لما يخزن فيها بحيث لا يضيع منه شيء أو يوضع في غير موضعه، راسخ العلم بطرق حفظه ووجوه تصريفه والانتفاع به، فهو قد طلب أهم ما تتوقف عليه إدارة الملك وسياسته وتنمية العمران وإقامة العدل فيه، فكان مضطراً إلى تزكية نفسه بالجملة فيه قالجملة تعليل لما قبلها، ونحن نرى دهاة الافرنج في كل بلاد يتولون أو يسيطرون عليها يعنون بادىء ذي بدء بالاستيلاء على إدارة الامور المالية فيها، لأنه يتوقف على تنظيمها تنظيم غيرها من أمور الدولة، وبهذا ترسخ أقدامهم فيها، فاذا لم يسرفوا في تحويل الثروة إلى أنفسهم وأبناء جلدتهم فضلهم أهل البلاد على أنفسهم أي على ملوكهم وحكامهم، او يهديهم الله للعدل وحسن الادارة فتعود الامة الى تفضيلهم بعد الثقة بها. وأما الجاهلون الظالمون فانهم يسرفون في إفساد النظام المالي واحتكار الثروة لانفسهم حتى يمقتهم أبناء جلدتهم ويفضلوا الاجنبي عليهم، وما أضاع ملك المسلمين وغيرهم من الشرقيين في هذه القرون الاخيرة إلا الجهل والتقصير في إدارة النظام المالي وتدبير الثروة وحفظها سواء في ذلك الدولة والامة

---

(٥٦) وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ، نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٧) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ

هذا بيان لسنة الله تعالى في تأسيس الرياسة الفضلى والحكومات المثلى في الامم، ونيل الافراد المناصب العالية فيها وإن كان أهلها غرباء عنها وافدين عليها. يقول تعالى

﴿٥٦ وكذلك مكنا ليوسف في الارض﴾ أي ومثل هذا التمكين الذي سبق

بيان أسبابه ومقدماته مكننا ليوسف في أرض مصر وقد جيء به مملوكا فأصبح مالكا ، فهذا التشبيه في « كذلك » ينبيء عن ملغز به هو موضع العبرة في القصة ، وهو إعداده تعالى إياه بما تحلى به من الصبر واحتمال الشدائد والعفة والامانة والصدق

﴿ نصيب برحمتنا من نشاء ﴾ يقال أصابه الشيء وأصابه الله به ، أي نخص برحمتنا من عطاء الملك والرياسة والغنى وغير ذلك من نعم الدنيا من نشاء من عبادنا بمقتضى سنتنا في الاسباب الكسبية ، وموافقة لاحداث الكونية والاجتماعية

﴿ ولا نضيع أجر المحسنين ﴾ في أعمالهم بشكر هذه الرحمة والنعم بأن نأجرهم عليها في الدنيا بالزيادة والمنادة فيها ، فان نعم الدنيا مبذولة لكل من يطلبها من طرقها وأسبابها ، ولكن المحسنين المتصرف فيها هم الذين لا يضيع عليهم شيء من أجرها في الدنيا كالذي يصيب المسيئين من المنغصات ، وغوائل الاسراف والبطر والخيلاء ، وإثارة أضغان المظلومين والحساد وهو الخوف على النعم منهم ومن غيرهم . وقلما يصيب المحسنين الشاكرين شيء من هذا . وما عسى أن يصيبهم منه يكون عليهم أخف ، ويكونون عليه أصبر ، ولانص هنا قوله تعالى في يوسف (٢٢ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلماً وكذلك نجزي المحسنين) وقوله حكاية عن صاحبي السجن (٣٦ إنا نراك من المحسنين)

٥٧ ﴿ ولأجرُ الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ هذه جملة مؤكدة بالقسم مثبتة أن أجر الآخرة وهو نعيمها الذي يكون فيها للجامعين بين الايمان والتقوى خير لهم من أجر الدنيا لاهلها وإن بلغوا سلطان الملك ومتاعه ، ليكون المؤمنون المتقون المحرومون من هذا النعيم راضين عن الله عز وجل موقنين بأن ما أعده لهم في الآخرة يصغر ويتضاءل تجاهه كل ما في الدنيا من مال وجاه وزينة وشهوات

ولاشك أن الجامعين بين السعادتين أكمل ، وفضل الله عليهم أعظم ، اذا هم أعطوا النعمة حقها من الشكر ، قال فقراء المهاجرين (رض) للنبي ﷺ يارسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال « ماذاك ؟ قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون كما نتصدق ويعتقون ولا نعتق

قال ﷺ «أفلا اعلمكم شيئا تدركون به من قد سبقكم وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكون احد افضل منكم ، الا من صنع مثل ما صنعتم ؟» قالوا بلى يارسول الله قال« تسبحون وتكبرون وتحمدون الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة» رواه الشيخان عن ابي صالح عن ابي هريرة قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله ﷺ فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال رسول الله ﷺ «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»

(٥٨) وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٩) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٦٠) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦١) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦٢) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

جاء في كتب التاريخ وأقدمها سفر التكوين أن يوسف عليه السلام عني أشد العناية بما أجمله من ذكر التدبير في تأويل رؤيا الملك فبنى الأهراء العظيمة وخزن فيها الحبوب التي استكثر منها مدة سني الخصب السبع الاولى فلما جاءت السبع الشداد وعم القحط مصر وغيرها من الاقطار القريبة منها وأقربها اليها فلسطين من بلاد الشام واشهرها فعل يوسف (ع . م) في مصر ومافيها من الخير وحسن تصرف يوسف في بيع الغلال ، أمر يعقوب (ع . م) أولاده بأن يرحلوا الى مصر ويأخذوا معهم ما يوجد في بلادهم من بضاعة ونقد فضة ويشتروا به قمحا لان المجاعة أوشكت أن تقضي عليهم ، والمقصود من العبرة الدينية والادبية في هذه الاخبار هو ماوقع بين يوسف وإخوته في مصر فاقتصر عليه في التنزيل وهو

﴿ ٥٨ وجاء إخوة يوسف ﴾ أي جاءوا مصر يمتارون ﴿ فدخلوا عليه ﴾ لأن أمر الميرة وشراء الغلال بيده ورهن أمره ﴿ فعرفهم ﴾ إذ دخلوا بلا تردد ولا طول تأمل كما يفهم من العطف بالفاء. إذ كان عددهم وشكلهم وزيهم محفوظا في خياله لنشوئه بينهم، وما قاساه منهم في آخر عهده بهم وكان في سن السادسة عشرة على رواية سفر التكوين وقد استكثرناها ،ويجوز أن يكون هنالك سبب آخر لسرعة هذه المعرفة كأن يكون عمال يوسف وعبيده لا يدخلون عليه إلا من عرفوا أمرهم وعرضوهم عليه ونالوا إذنه بإدخالهم ﴿ وهم له منكرون ﴾ أي والحال انهم كانوا إذ دخلوا عليه منكرين له لتغير شكله بالدخول في سن الكهولة، ولما كان عليه من عظمة الملك وزيه وشارته وما كان من حاجتهم كثيرهم لبره وعطفه ،وكل ذلك مما يحول دون إطالة النظر اليه والتثبت من معارف وجهه ، وكانوا يظنون انه هلك أو طوحت بمطوائح الزمن بالانتقال من سيد الى آخر ، فلو فطنوا لبعض ملامحه وتذكروه بها لعدوها مما يتشابه فيه بعض الناس ببعض عادة ، ولم يخطر ببالهم ان اخاهم وصل الى هذه العظمة

﴿ ٥٩ فلما جهزهم بجهازهم ﴾ أي أصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون وأوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة اه من الكشاف

قال الفيومي في المصباح المنير : جهاز السفر أهبته وما يحتاج إليه في قطع المسافة بالفتح وبه قرأ السبعة (وذكر الآية) والكسر لغة قليلة ،وجهاز العروس والميت بالفتح أيضاً يقال جهزهما أهلهما بالتثقيل ، وجهزت المسافر بالتثقيل أيضا هيأت له جهازه وما يحتاج إليه في قطع المسافة اه فتجهيز يوسف إياهم بالجهاز اللائق بهم الكافي لهم هو غير الميرة التي جاؤا لامتيارها أي الطعام الذي جاؤا لشرائه ، وهو يدل على انهم أخذوا الميرة أيضاً فهو من إيجاز القرآن الدقيق ،وجعله الزمخشري شاملا له بالمعنى لاستلزامه إياه . وقد نقل البيضاوي عبارته ثم قال والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدة السفر وما يحمل من بلد إلى آخر وما تزف به المرأة إلى زوجها اه فحمل الميرة وغيرها من البضائع داخلة في معنى الجهاز وليس كذلك في أصل

الفة . ﴿قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم﴾ يريد شقيقه بنيامين ، وفي سفر التكوين أنه كان استنبأهم عن أنفسهم متنكراً لهم إذ عرفهم ولم يعرفوه واتهمهم بأنهم جواسيس جاؤا ليروا عورة البلاد فأنكروا ذلك وأخبروه خبرهم (٤٢ : ١٣) فقالوا نحن عبيدك اثناعشر أخا نحن بنو رجل واحد في أرض كنعان ، وهو ذا الصغير عند أبينا اليوم والواحد مفقود ١٤ فقال لهم يوسف ذلك ما كلمتكم به قائلا : جواسيس أنتم ١٥ بهذا تمتحنون،وحياة فرعون لا تخرجون من هنا إلا بمجيء أخيكم الصغير إلى هنا) الخ (٢٥ ثم أمر يوسف أن تملأ أوعيتهم قمحاً وترد فضة كل واحد إلى عدله ، وأن يعطوا زاداً للطريق ، ففعل لهم هكذا) اهـ وهو بمعنى ما قلنا يدل عليه قوله ﴿ ألا ترون أني أوفي الكيل ﴾ أي أتمه وأجعله وافيا كافيا ﴿ وأنا خير المنزلين ﴾ أي وأنا على هذا خير المضيفين للضيوف ، وكان قد أحسن ضيافتهم ومن تمامها تجهيزهم بالزاد الكافي لهم مدة سفرهم، والميرة لاتقتضي هذا ولا تستلزمه ، يقال أنزلت الضيف نزلا وخير منزل بضم الميم وفتح الزاي فهو نزيل-فعيل بمعنى مفعول-والنزل بضمتين طعام النزيل الذي يهيأ له ، وهو مستعمل في التنزيل،واستدل بقوله هذا على ضعف رواية اتهامه إياهم بالتجسس على كون هذه التهمة لا تليق بمن دون الصديق النبي وهو يعلم بطلانها إلا أن تكون ذريعة لغرض صحيح كاتهامهم بالسرقة

﴿ ٦٠ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ﴾ فإذا عدتم تمتارون لا علمكم ولم يكن معكم منع جنس الكيل أن يكال لكم في حضرتي أو ملكي فضلا عن إيفائه وإكماله الذي كان لكم بأمري ﴿ ولا تقربون ﴾ بكسر النون الدالة على ياء المتكلم المحذوفة ، وهو يجوز أن يكون نفيا معطوفا على ماقبله وأن يكون نهيا عن القرب منه فضلا عن إنزاله إياهم في ضيافته خير ضيافة لا توجد عند غيره ، وناهيك بما بين منزلته من الملك والحكم ، ومنزلتهم فيمن لا يحصى من الجائين الممتارين من البعد

٦١ ﴿ قالوا سنراود عنه أباه ﴾ أي سنبذل جهدنا في مراوعة أبيه وتحويله

عن إرادته في ابقائه عنده إلى إرادتنا وإرادتك حتى نفتنه بإرساله معنا كما تحب
﴿ وإنا لفاعلون ﴾ ذلك قطعا وعدا مؤكدا لا نساه ولا نتوانى فيه

٦٢ ﴿ وقال لفتيانه ﴾ أي غلمانه الكيالين ، وهذه قراءة حمزة والكسائي وحفص ، وهو جمع كثرة لفتى ، وقرأ الباقون (لفتيته) وهو جمع قلة فيها كاخوة وإخوان ولا وجه للتفاضل بينهما ﴿ اجعلوا بضاعتهم ﴾ التي جاؤا بها لشراء الطعام ﴿ في رحالهم ﴾ أي أوعيتهم وهي جمع رحل بالفتح يطلق على كل ما يعد للرحيل (السفر) من وعاء للمتاع ومركب وحلس للبعير ورسن ﴿ لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم ﴾ أي رجاء أن يعرفوا لنا حق إعادتها إليهم وجميل ما أعطيناهم من الغلة مجانا بغير ثمن إذا هم رجعوا إلى أهلهم وفتحوا متاعهم فوجدوها فيه فانهم انما يفتحونها هنالك ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ الينا طمعا في برنا وإن كانوا غير محتاجين إلى امتيار آخر لضرورة القوت . ويجوز أن يكون رجاء الرجوع منوطا بمعرفة البضاعة من غير تقدير معرفة حق ردها اليهم وما فيه من المنة والكرم ، وهو أن يعتقدوا أن فتيان يوسف نسوها أو وضعوها في رحالهم خطأ؟ وهم لا يستحلون أكلها بالباطل فيرجعون لاعادتها وإيصالها إلى أهلها

(٦٣) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَٰأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ (٦٤) قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّٰحِمِينَ)

﴿ ٦٣ فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل ﴾ أي صدر حكم العزيز ولي الامر في مصر بمنع الكيل لنا في المستقبل، وأخبروه بما قاله لهم ورتبوا عليه

قولهم ﴿ فأرسل معنا أخانا ﴾ بنيامين ﴿ نكتل ﴾ أي نتمكن من أخذ ما نطلب من الطعام بالكيل المعلوم بأن نرفع المانع من الكيل ونكتال من الطعام بقدر عددنا ، وقرأ حمزة والكسائي (يكتل) بالياء يعنون أخاهم بنيامين أي يكتل لنفسه كما يكتال كل منا لنفسه فإن الكيل لنا مشروط بإرساله ورؤية العزيز له ، تقول كلت له الطعام إذا أعطيته واكتلت منه وعليه إذا أخذت منه أو توليت الكيل بنفسك يقال كال الدافع ، واكتال الآخذ ، قاله في المصباح ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ في ذهابه وإيابه فلا يناله مكروه نخافه ، كأنهم كانوا يعتقدون أن أباهم يعتقد أنهم يحسدونه كما كانوا يحسدون يوسف معه فقالوا له مثل ما قالوا لما طلبوا إرسال يوسف معهم يرتع ويلعب ، فماذا قال هو لهم ؟

﴿ ٦٤ قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل ﴾ إذ قلتم (يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون ؟ أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون) ثم خنتم وكذبتم فضيعتم يوسف ؟ فالحالة واحدة ووعدكم بحفظه لا يوثق به « ما أشبه الليلة بالبارحة » ﴿ فالله خير حافظا ﴾ لمن لم يحفظه ولا حافظ له ، قرأ الجمهور (حفظا) على التمييز وحمزة والكسائي (حافظا) وهو يحتمل التمييز والحال ، والكلمة كتبت في المصحف الإمام بدون ألف ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا يجمع علي الابتلاء بفقده وفقد أخيه يوسف معاً فرحمته أوسع وأعظم ، وفي قوله هذا لين وميل إلى إرساله لشدة الحاجة ولكنه غير صريح

(٦٥) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَاأَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٦) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ، فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ

﴿٦٥ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم﴾ أي فتحوا رحالهم من غرائر وغيرها وجدوا فيها ما كانوا أعطوه من بضاعة ونقد ثمنا للطعام كما توقع يوسف اذ أمر فتيانه بوضعها في رحالهم ولم يعلموا بذلك من قبل ﴿قالوا يا أبانا ما نبغي؟﴾ استفهام في سياق استئناف بياني، يعنون أي إكرام نطلب وراء هذا الذي فعل معنا عزيز مصر، أو نفي للمبالغة فيما حدثوه به من كرمه وحسن ضيافته، أي ما نبغي ولا نسرف فيما حدثناك عن كرم هذا الرجل، ثم استدلوا على هذا بقولهم مستأنفا أيضاً ﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا﴾ بينها على حقارتها لم يأخذ العزيز شيئا منها، وكل ما جئنا به على غلائه وعظم قيمته فهو هبة منه لنا أو صدقة علينا ﴿ونمير أهلنا ونحفظ أخانا﴾ هذا عطف على محذوف تدل عليه القرينة، أي فنحن ننتفع ببضاعتنا ونمير أهلنا بما نجلبه من الميرة من مصر مجانا ونحفظ أخانا بعنايتنا كلنا به مع عدم المخاوف التي تخشى ان تغلبنا عليه ﴿ونزداد كيل بعير﴾ أي حمله بكال لأخينا ويفهم منه ان يوسف ما كان يعطي أحداً أكثر من حمل بعير حتى لا يسرف الناس في الطعام، وقد أشار في تعبير رؤيا الملك إلى ما يجب من الاقتصاد ﴿ذلك كيل يسير﴾ أي ان حمل البعير كيل سهل لا عسر فيه على عزيز مصر الجواد المحسن، او قليل لا يكثر على سخائه ولا يشق عليه وإن كان يعلم ان كل ما نأخذه لبيت واحد، فالمشار إليه حمل البعير والكيل بمعنى المكيل، واليسير له معنيان أحدهما السهل وهو ضد العسير ومنه قوله تعالى (يوم عسير على الكافرين غير يسير) وقوله (وكان ذلك على الله يسيراً) والثاني القليل في كل شيء حتى الزمن ومنه قوله تعالى (وما تلبثوا بها إلا يسيراً) وقال الزمخشري وتبعه البيضاوي: أي ذلك مكيل قليل لا يكفينا، يعنون ما يكال لهم فأرادوا أن يزدادوا اليه ما يكال لأخيهم، أو يكون ذلك اشارة إلى (كيل بعير) أي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه، أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه، ويجوز أن يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله

بالولد اه وهذا بعيد ولو كان من قوله لعطف عليه ما بعده ولكنه جاء مفصولا مستأنفا على الاصل في جواب سؤال مقدر كامثاله وهو :

﴿ ٦٦ قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله ﴾ أي حتى تعطوني عهداً موثقا بالقسم بالله ﴿ لتأتنني به ﴾ جواب القسم أي لترجعن به إلي على كل حال تعرض لكم ﴿ إلا أن يحاط بكم ﴾ إلا في حال واحدة وهي أن تغلبوا على أمركم بعدو أو بلاء يحيط بكم فتهلكوا دونه فلا تستطيعوا الاتيان به مجتمعين ولا متفرقين أو لا يسلم منكم أحد ﴿ فلما آتوه موثقهم ﴾ أي أعطوه العهد الموثق الذي اشترطه عليهم ﴿ قال الله على ما نقول وكيل ﴾ أشهد الله تعالى على ما قاله واشترطه وما أجابوه به، يعني أنه سبحانه رقيب عليه وعليهم ، وأمرهم موكول اليه فهو الكفيل الذي يوفق للوفاء بالعهد ، والصدق بالوعد ، فقول القول خبر في اللفظ إنشاء في المعنى

---

(٦٧) وَقَالَ يَـٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ، إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ، وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

﴿ ٦٧ وقال يابني لا تدخلوا ﴾ مصر مجتمعين ﴿ من باب واحد ﴾ كهيئتكم هذه بناء على أنه كان لمصر عدة أبواب لكبرها وكثرة طرقها . وقيل انه أراد بالابواب الطرق ، والراجح عندي أنه أراد الابواب التي يدخل الناس منها على

العزيز في قصره أو الوسائل الموصلة اليه ، فالابواب تطلق على المداخل الحسية والمعنوية ومنه (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) ومنه ابواب جهنم وهي امهات أجناس الاباطيل والمعاصي التي هي سبب دخولها، وكذا أبواب العلم والكتب ﴿وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ بحيث لا يراكم من هنالك مجتمعين فيحسدكم الحاسدون ، ويكيد لكم الظانون ظن السوء ، فاذا وقع بكم مكروه بحسدهم وكيدهم أو بسبب آخر خشيت أن يصيبكم كلكم فيحاط بكم ﴿ وما أغني عنكم ﴾ وما أدفع عنكم بوصيتي هذه ﴿ من الله ﴾ أي مما قضاه الله وقدره في علمه وسنن خلقه ﴿ من شيء ﴾ قل أو كثر، فما قضاه وحكم به لا بد من وقوعه ﴿إن الحكم إلا لله﴾ أي ما الحكم في تدبير العالم ونظام الاسباب والمسببات إلا لله وحده ﴿ عليه توكلت ﴾ دون غيره ودون علمي ووصيتي ، وحولي وقوتي ﴿وعليه فليتوكل المتوكلون ﴾ كلهم لا على أمثالهم من المخلوقين ولا على أنفسهم ، بل يجب على كل عاقل يؤمن بأن يتخذ لكل أمر ما يقدر عليه من الاسباب ، وأن يوصي بها بعضهم بعضاً ،وأن يكون اتكالهم في النجاح وقضاء الحاج عليه ، فان من الاسباب ما يخفى عليهم ، ومالا تصل اليه أيديهم

﴿ ٦٨ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ﴾ وهو الابواب المتفرقة ﴿ ما كان يغني ﴾ عنهم أو يدفع دخولهم أوأمره لهم وامتثالهم له ﴿ من الله من شيء ﴾ أي أدنى شيء من المكروه الذي من شأنه أن يحول دون رجوعهم ببنيامين ،وقد أخذ عليهم الموثق بان يأتوه به إلا اذا أحيط بهم فلم يبق منهم أحد ، وانما يقع هذا في العادة الغالبة اذا كانوا مجتمعين ﴿ إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها ﴾ هذا استثناء منقطع بالاتفاق والمعنى أن يعقوب كان يعلم أن الحذر لايدفع القدر ، ولكن كانت هنالك حاجة تختلج في نفسه ، قضت الحكمة الايكاشف بها أحداً من الناس هي وراء ما يخطر بالبال من أسباب الاحتياط لسلامة بنيامين والمودة

به قضاها بوصيته لأولاده من حيث لا يفطنون لها ﴿ وإنه لذو علم ﴾ خاص
. به وبأمثاله الأنبياء ﴿ لما علمناه ﴾ لأجل ما أعطيناه من علم الوحي وتأويل الرؤيا
الصادقة والالهام وذلك عندهم فوق صحة الفكر وسلامة العقل ، فهو يعلم به أن
يوسف حي سيكون له شأن ، وأن الانسان يجب عليه في كل أمر يحاوله أن يتخذ
له كل مايصل اليه علمه من أسبابه حتى ما كان منها احتياطيا ثم يتوكل على الله في
تسخير ما لم يصل إليه علمه مما لا تتم المقاصد بدونه ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾
. ما نختص به رسلنا من علمنا اللدني ، فهم يتكلون على ما يظنون أو يتوهمون من
الاسباب ، والواجب الجمع بين الاسباب الصحيحة وبين الاتكال على الله وهو
. ما فعله يعقوب عليه السلام

هذا ما يدل عليه ظاهر الآيتين من تفسيرها الظاهر التبادر من لفظهما ،
. فتلك الحاجة التي كانت في نفس يعقوب تفسير باطن لا يفهمه إلا من عرضها
على أول القصة وآخرها ، وهو ما فهم يعقوب من رؤيا يوسف عليهما السلام من
أن ربه يجتبيه ويتم نعمته عليه وعلى آل يعقوب به ، وما جزم به من تكذيب إخوته
. في قولهم أكله الذئب ، فقد كان يعلم أن يوسف حي باق وينتظر تحقيق رؤياه
. له ولآل يعقوب ، وقد قلنا إن علم يعقوب بهذا كان علما قطعيا ولكنه يجهل مبهم
. لا يتناول مكانه بعد أخذ السيارة له ولا ما فعل الله به ، فلما قص عليه أولاده ما كان
. من ضيافتهم وإكرامهم في قصر ملك مصر ووزيره العزيز المفوض ، ومطالبته إيام
بأن يأتوه بأخ لهم من أبيهم ، وأكد هذا الطلب وألح فيه وأنذرهم الحرمان من
. الكيل لهم إن لم يأتوه به ، ترجح عنده أن هذا العزيز العطوف الرؤوف المحسن
. المضيف لأولاده دون الوفود التي تفد عليه من مصر وغيرها لطلب الرزق هو
. يوسف بعينه ، ولم يكن له أن يجزم بذلك عقلا ، ولم يخبره الله به وحيا ، لأن
كل شيء عنده تعالى بقدر ، ولكل قدر أجل ، فلقن يعقوب أبناءه وصيته رجاء
أن تنكشف بها الحقيقة أو تزداد قوة إلى أن يكشفها الله تعالى الكشف الاخير
. بتأويل رؤيا يوسف التام

قال يا بني لا تدخلوا على هذا الملك الكريم أو الوزير العزيز من باب واحد من أبواب الوصول اليه ، بل ادخلوا عليه متفرقين من أبواب متعددة ، وأراد بذلك أن يروا بأعينهم ما يكون من تأثير كل طائفة منهم في نفسه وما يظهر على أسارير وجهه وحركة عينيه ولمحاتهما عند رؤية شقيقه فيمن يدخل معهم، إذ لا يعلم هذا اذا دخلوا عليه كلهم كوكبة واحدة ، وقد أبهم أمر الوصية عليهم ولم يشر إلى سببها ، وانتظر أن يخبروه بما سيقع لهم بعد وقوعه

ويؤيد هذا قوله تعالى بعدما تقدم (فلما دخلوا على يوسف) فعلم منه أن المراد من الدخول الاول دخولهم عليه لا على مصر ، ثم يؤكده أنه لم يصدقهم في قولهم إن ابنك سرق) وقال لهم (بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) ثم قوله (اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) ثم قوله (إني لأجد ريح يوسف) الخ ثم انكشاف الامر كله بما تمت به القصة

هذا ما تبادر إلى فهمي أنه الحق الموافق للسياق والجمع بين أول القصة وآخرها وفهمها بنظر العقل المستقل في الحكم ، بعد أن توجهت إلى الله أن يلهمني الصواب في تلك الحاجة في نفس يعقوب، كما أتوجه اليه وأدعوه دائما في الاسحار وفي غيرها أن يوفقني في تفسير كتابه لما يحبه ويرضاه من الحق ونفع الخلق

والمشهور عند الخواص والعوام من حاجة يعقوب التي كانت في نفسه أنه كان يخاف على أولاده إصابة العين وهو أول ما قرأته في تفسير الجلالين ثم رأيته في الدر المنثور مرويا عن أشهر علماء التفسير المأثور من الصحابة والتابعين كابن عباس ومحمد بن كعب القرظي ومجاهد وقتادة والضحاك. ولكن روي عن ابراهيم النخعي في ذلك أن يعقوب أحب أن يلقى يوسف أخاه في خلوة. وهذا الذي قارب الصواب ولم يقرطس في هدفه فزعم أنه كان يعتقد أن يوسف ملك مصر ، ولو صح هذا لما قال بعده (يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن)

فاما الخوف من العين فنفيه أنه مخالف للسياق القريب الدال على الحرص على

سلامة بنيامين والاحتياط للاتيان به ، فان الخوف عليهم من العين اذا دخلوا من باب واحد يمنى به الجماعة دون الافراد ، ولا يظهر فيه شيء يخص بنيامين ، وهم قد دخلوا مصر أول مرة من باب واحد فلم تصبهم العين ، ولوصح ما في سفر التكوين من اتهام يوسف إياهم بالتجسس لجاز أن يقال إن رؤيتهم مجتمعين هو الذي أوقع الشبهة عليهم ، وهم إنما اجتمعوا عند يوسف لافي باب من أبواب مصر ،

وحوادث الاصابة بالعين عند المصدقين لها قليلة وأكثرها وهمية ولم يرو عنهم أنها بلغت أن يقتل بها جماعة من الناس اشداء كاخوة يوسف ، وهم فريقان أحدهما يرى أنها تقع من تأثير بعض الانفس الشريرة الحسود فيا تتوجه اليه توجها قويا ، والآخر يسلكها في خوارق العادات أو الحوادث المجهولة السحرية ، والمؤمن بالله من كل منهما لا يقيم لتأثيرها وزنا ، بل منهم من يقاوم تأثيرها بعد وقوعه بالتوجه الى الله والدعاء والرقية ، فان تأثير الايمان والتوجه الى الله تعالى ودعائه وذكره والرقية بما يعتقد تأثيره قد يكون أقوى من تأثير النفس الشريرة ومنها العين كما بيناه في موضعه ، ونظرية التأثير النفسي ومنه التنويم المغناطيسي مبنية على تأثير القوي من الانفس في الضعيف ، وقد رأيت في استانبول رجلا نوم امرأة تنويما مغناطيسيا فقلت له ان استطعت أن تنومني فلك حكمك في أوما شئت من الدراهم ، فاعترف بعجزه ، وعلله بأن نفسي أقوى من نفسه

وقد صح في وصف الذين يدخلون الجنة بغير حساب في الحديث الصحيح أنهم « الذين لا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون » فالرقية تنافي التوكل لانها سبب وهمي ضعيف ، ولكن الاخذ بالاسباب القوية المطردة الثابتة بالتجارب المنتظمة في سنن الله تعالى لاينافي التوكل ، بل تركها هو الذي ينافي التوكل كما قررناه في موضعه من هذا التفسير وغيره . وقد صرح يعقوب عليه السلام في هذا المقام بتوكله على الله وحده ، وهو دليل على أن ما قصده بتوصيته لأولاده لا ينافي التوكل ومنه الخوف من العين ، وفي الصحيحين وغيرهما ان « العين حق » والاذن أو الامر بالاسترقاء من العين ، وسنحقق المسألة في خلاصة تفسير السورة إن شاء الله تعالى

فتاوى المنار

﴿ حرمان البنات من الارث ﴾

(س ١) لصاحب الامضاء في مصر القاهرة

حضرة صاحب السيادة مولانا الاستاذ الاكبر السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر نفعنا الله بعلمه وفضله

عرض بعض فقهاء المسلمين في مصر إلى مسألتين- الاولى احتيال الآباء على حرمان بناتهم من أموالهم بطريق النزول عنها الى أولادهم الذكور ببيعهم مايملكونه لهم . حتى إذا ماتوا لاتجد البنات ماترثه من أموال آبائهن

فقال بعض الفقهاء بجواز هذا ونشرت قوله في الوطنية ، وقال آخر بالتحريم ونشرت قوله كذلك في الوطنية فأصبح المسلمون في حيرة من أمرهم بين هذين القولين المتناقضين وقد لجأت الى فضيلة مفتي الديار المصرية ليكون حكما بينهما فأحالني على سيادتكم وأجل فتواه الى ما بعد اطلاعه على فتواكم

﴿ تعارض القرآن والاجماع ﴾

المسألة الثانية - اذا تعارض القرآن والاجماع في أمر فبأيهما نأخذ ؟؟ قال بعض العلماء نأخذ بالقرآن - وقال أحد كبار الفقهاء نأخذ بالاجماع - واستشهد الفقيه المشار اليه على صحة رأيه بقوله : إن القرآن فرض نصيبا من الصدقة للمؤلفة قلوبهم - وجاء الاجماع فقرر الغاء هذا النصيب لان الاسلام اصبح قويا ومنتشراً وليس بحاجة الى تأليف القلوب فماذا ترون سيادتكم في هاتين المسألتين. فان العالم الاسلامي ومفتي الديار المصرية في انتظار فتوى سيادتكم في كلتيهما

ايوب صبري

صاحب جريدة الوطنية

(٩) الاحتيال لحرمان البنات من الميراث

الاحتيال لحرمان البنات من الميراث ببيع المورث بعض عقاره أو كله للذكور من الوارثين بيعاً صحيحاً في الظاهر أو هبته لهم في غير مرض الموت أو بغير ذلك من الوسائل - هو كالاحتيال لمنع الزكاة أو أكل الربا المحرم قطعاً - حرام لاشك فيه وقد حررنا هذه المسألة في الكلام على الحيلة لأكل الربا ، وأشد الفقهاء جموداً على ظواهر الأحكام يصرحون بحرمة هذا إذا قصد به تعطيل حكمة الشارع، وإنما يكابر من يكابر في حكم ظاهر العمل بصرف النظر عن النية فيه . وقد أمر النبي ﷺ بالعدل والمساواة بين الأولاد في عطايا الدنيا فضلا عن الميراث المقرر في كتاب الله تعالى ففي حديث الصحيحين وغيرهما أن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال على المنبر : أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة (يعني أمه) لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يارسول الله؛ قال «أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟» قال لا ، قال « فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» قال فرجع فرد عطيته وفي رواية لمسلم زيادة « لا تشهدني على جور » وفي أخرى « فلا تشهدني فإني لا أشهد على جور » وفي أخرى « اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر » والنحل جمع نحلة بالكسر وهي العطية التي لا مقابل لها

والظاهر أن هذه التسوية واجبة وإن قال بعض الفقهاء إنها مندوبة . واختلف في صفتها فقيل لا فرق فيها بين الذكر والأنثى، وقيل هي كالميراث، ويتجه التفصيل فيها كان من طعام أو زينة وما يعطى من الدراهم في الأعياد فالظاهر فيه المساواة لاستواء الحاجة ولأن التفضيل يسوء البنات ، وما يقتنى ويدخر أو يستغل لكثرته فالظاهر فيه أنه يراعى فيه نصيب كل في الميراث لأنه أقرب إليه . وعلى الأول يحمل حديث ابن عباس (رض) مرفوعا « سووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلا أحداً لفضلت النساء » رواه سعيد بن منصور والبيهقي من طريقه وإسناده حسن كما قال الحافظ بن حجر

(٢) التعارض بين القرآن والاجماع

لي لاستنكر هذا التعبير وأقول إن هذا الرأي خطأ ونحاشي من أن يعارضه دليل، كل ما خالفه فهو خطأ مردود، ومن سوء الأدب أن يقال إنه معارض له وأسوأ من ذلك أن يقال إنه يرجح عليه

وما ذكر في السؤال من سقوط سهم المؤلفة قلوبهم من مستحقي الزكاة لا يصح بل هو باق ولو صح لما كان حكمه معارضا للقرآن وراجحا عليه، بل يقال فيه إن حكمه قد تعذر تنفيذه بفقد المستحق له كما يقال في غيره من غير حاجة الى ادعاء الاجماع كالغارمين وابن السبيل اذا فقدوا من بعض البلاد، ومثل ذلك كفارة العتق في البلاد التي فقد منها الرقيق

قد بينت في تفسير آية الصدقات أن المؤلفة قلوبهم عند الفقهاء قسمان (١) كفار وهم ضربان (٢) مسلمون وهم أربعة، و ... وحدث في عصرنا اقسام أخرى اولى بالتأليف فانا نجد دول الاستعمار الطامعة في استعباد جميع المسلمين وفي ردهم عن دينهم يخصصون من أموال دولهم سهما للمؤلفة قلوبهم من المسلمين فمنهم من يؤلفونه لاجل تكفيره واخراجه من حظيرة الاسلام، ومنهم من يؤلفونه لاجل الدخول في حمايتهم ومشاقة الدول الاسلامية أو الوحدة الاسلامية، ككثير من امراء جزيرة العرب وسلاطينها!! أفليس المسلمون أولى منهم بهذا؟ (ص ٤٩٥ ج ١٠ تفسير المنار)

وقد ... انه روي عن ابي حنيفة انه قد انقطع سهم قسم من الكفار باعزاز الله للاسلام كالذين اعطاهم النبي ﷺ من غنائم هوازن ثم منعهم عمر وقلت ان هذا اجتهاد من عمر (رض) اي فهو يختلف باختلاف الزمن وقد استمر في زمن عثمان وعلي (رض)

وما من ادعى انه منسوخ بالاجماع لما تقدم من عمل الخلفاء والسكوت عليه من سائر الصحابة فدعواه ممنوعة : لا الاجماع ثابت بما ذكر، ولا كونه حجة على نسخ الكتاب والسنة صحيحا وان اختلف فيه الاصوليون بما لا محل لذكره هنا

وجملة القول ان سهم المؤلفة قلوبهم ضروري في هذا الزمان أشد مما كان في اول الاسلام لضعف المسلمين ودولهم وضراوة الاجانب بهدم دينهم وملكهم، وانه لا إجماع على ما ذكر في السؤال وان الاجماع الاصولي يختلف في امكانه وفي وقوعه وفي العلم بوقوعه ان وقع وفي كونه حجة

كتاب الوحي المحمدي

تصدير الطبعة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

ولله الحمد والشكر، إياه نعبد وإياه نستعين

أما بعد فقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في موعد ذكرى مولد النبي (ص) من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ تيمنا بظهور نوره المشرق الذي أضاء الكون كله، وإنما أضاءه بنوع شمس هذا الوحي الالهي ونزوله عليه، فما أتى على صدوره بضعة أشهر إلا وكانت نسخه قد نفدت، فأعدت طبعه في [illegible] صفحة مزيدا فيه قدر الثلث ويزيد، ولولا خوف الملل من القارئ لزدته ضعفا أو أضعافا. ولذلك وعدت بأن أجعله [illegible] وأصدرت الطبعة الثانية في يوم عرفة الذي أنزل الله فيه في حجة الوداع (اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا) متفائلا بتجديد هذا الكتاب لدعوته (ص) فما جاء يوم عرفة الثاني (سنة ١٣٥٣) إلا وكانت نسخ الطبعة الثانية قد نفدت، وشرعت في الطبعة الثالثة، وتعمدت تأخير إتمامها كالتي قبلها لنشرها في موعد الأولى من هذه السنة (١٣٥٤)

وفي غضون السنة الماضية تمت ترجمة الكتاب باللغة الأوردية ونشرت في الهند وهي مترجمة من الطبعة العربية الأولى. وتمت ترجمته باللغة الصينية فيها أيضا مرتين وينوي طبع الأولى في [illegible] مترجمها الاستاذ صاحب مجلة ضياء الهلال، وحمل الثانية مترجمها الاستاذ بدر الدين الصيني من الهند إلى مصر وعرضها علي، وكان يريد إرسالها إلى بلد آخر في الصين لطبعها فأشرت عليه بأن يزيد فيها كل ما زدته في الطبعة الثانية لأنه أصح وأنفع. ولعلها لا تطبع إلا وقد نفدت نسخ الترجمة الأولى، ولعله يعيد تصحيحها بمعارضتها على هذه الطبعة الثالثة فإنها أصح وأكمل. ولم يبلغني أن أحدا من هؤلاء قد أتم ترجمته بلغة أخرى

في هذه الطبعة [illegible] من الفوائد، وإيضاح لبعض المسائل، وجعلت

ا كثرها فى الحواشى كما نرى فى الحاشية الثانية من ص ١٥٧ والأولى من ص١٥٨ والحاشية (٢)من ص ١٨١ وما جعلته فى الصلب أشرت إليه غالبا كشرعية عتق الرقيق من غير المؤمنين، وليس فيها شيء من المقاصد الأصلية المقصودة بذاتها

علما إذن أنه أتى على ظهور الكتاب سنتان كاملتان ، فأما انتشاره بالعربية فهو فوق المعتاد فى الكتب الدينية ، وقد قررت وزارة المعارف العمومية فى هذه السنة صرفه لطلبة دار العلوم العليا وهو يدرس فى بعض المدارس الاسلامية فى دمشق وبيروت

ويرجى نشره فى السنة المدرسية الجديدة أيضا بين طلاب الأزهر والمعاهد الدينية بمصر وقد تولى رياستها شيخ الاسلام وخليفة الاستاذ الامام (الشيخ محمد مصطفى المراغي) الذي كان أول من قدر الكتاب قدره ، وقرأ نصفه فى جلسة واحدة وأتمه فى جلسة أخرى ، ثم كتب فى وصفه تلك الكلمة البليغة التى يراها قراؤه فى صدر التقاريظ ، وقد تنبأ أو بشر بأنه سيطبع فى كل عام

ترجمة الكتاب باللغات الافرنجية

ولكن قصر المسلمون فيما يجب عليهم من ترجمته بسائر لغاتهم ولغات شعوب الحضارة التى دعوناها به إلى الاسلام ، وهي الانكليزية والفرنسية والالمانية ، وهو واجب كفائي صرح بتمنيه كثير من أهل العلم والغيرة ، وصرح بوجوبه بعض مقرظي الكتاب ، فنهم من تصنف وطالب بهذه الترجمة أو بالسعي لها ، ومنهم من أنصف وطالب به الأمة الاسلامية أو جمعياتها

أما الامة فلا تنهض بالأعمال العامة إلا بزعمائها أوجمعياتها ، وأما هذه الجمعيات عندنا فلا تزال فى سن الطفولة ، ولا يرجى من أمثالها عمل عظيم كهذا ، فهي أفقر وأضعف همة من جمعيات المرتدين عن الاسلام جملته وتفصيله كالبهائية ، والملاحدة المدعين للنبوة والمسيحية فيه كالقاديانية ، دع جمعيات النصارى التعليمية والتنصيرية التى تملك مئات الملايين من الجنيهات ، وقد بثوا تعاليمهم فى جميع أقطار الارض ، وهم يطمعون فى تنصير المسلمين ، على حين تتسلل شعوبهم من النصرانية سراعا بسلطان ونظام كالشعب الجرماني ، أو لواذا بدون سلطان دولي ولا نظام كسائر الشعوب ، وهي تمهد السبيل لنسخ الاسلام لها ، وحلوله محلها ،

وقد كان أرجى الجمعيات الاسلامية لهذا العمل في مصر جمعية الدفاع عن الاسلام، التي هدمت باسم أقوى معول من معاول الاسلام قبل أن يتم بناؤها، وإنما كان هذا الرجاء فيها منوطاً برئيسها الشيخ محمد مصطفى المراغي، وما كان السعي لهدمها إلا سيأ لهدم اسمه، وحرمان المسلمين من استعداده، ولكن الله نصره، وخذل من ناهضه، وجعل معول الهدم الذي كان بأيديهم سيفاً لنصر الاسلام بيده، فإذا بعصى موسى تلقف ما يأفك سحرة فرعون (فَوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)

فان كان أهلا للرجاء بأن يسعى لترجمة كتاب الوحي المحمدي ببعض لغات العلم الغربية تمهيداً لتبليغ الدعوة الاسلامية للناطقين بها ــ وتلك القوة الرسمية تكيد له ــ فأجدر به أن يكون أقدر على تحقيق ذلك بالفعل، وتلك القوة الرسمية وما وراءها من القوة الحقيقية طوع يده، ولن تكون ترجمة هذا الكتاب في موضع الثقة بها عند جميع الشعوب كما إذا كانت من قبل شيخ الاسلام وتحت إشرافه، وكان نشره وبث الدعوة به بارشاده أو إجازته، مع العلم بأن مؤلفه قلم من أقلامه، وعلم من أعلامه، وأحمد الله عز وجل أن جدد لي وللأمة بعودته إلى مشيخة الأزهر ذلك الأمل بالزعامة الاسلامية العاملة التي فقدناها بوفاة الاستاذ الامام منذ ثلاثين سنة

إن الأمة لم تفقد بوفاة ذلك الامام شيئاً من علم الاسلام، وإنما فقدت زعيم الاصلاح العارف بحاجة زمانه، الذي نال الزعامة بسموعقله، واستقلال رأيه وفهمه، وعلو همته وشجاعته، وإنصافه باعطاء كل ذي حق حقه من العلم الصحيح والاخلاص فيه، وما كان يعوزه للنهوض بالاصلاح العام إلا الاستقلال بالزعامة التي تمكنه من العمل، ولهذا كنا نسعى بولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب

إذن لقد كان من حكمة الله أن «كتاب الوحي المحمدي» لم يترجمه بلغات الافرنج من ليسوا أهلا لترجمته حتى لا أضطر إلى تخطئتهم، فيكون ذلك محبطاً لعملهم، او مضعفاً للثقة بترجماتهم: وادخرها العليم الحكيم لمن هو أحق بها وأهلها

بلوغ الدعوة لأحرار الافرنج والمستشرقون منهم

لن يكون بلوغ الدعوة صحيحا مرجوًّا إلا بوصولها إلى الاحرار مستقلي الفكر من هذه الشعوب بلغاتهم ، وأكثر أفراد المستشرقين الذين تعلموا العربية ليسوا من هؤلاء الاحرار المستقلين المنصفين ، فانهم ما درسوا العربية ولا مارسوا كتب الاسلام ليعرفوا حقيقته ويعرفوا غيرهم بها ، بل ليبحثوا عن عورات يتلمسونها فيها ليغروا أقوامهم عنه بتصويرها لهم بالصور المشوهة التي ينكرونها ، كما نرى فيما اطلعنا عليه من كتبهم وفي معجمهم العلمي الذي وسموه بدائرة المعارف الاسلامية ، ومن خيبة الآمال تعلمهم ومصنفاتهم أن وجدت كتاب (مفتاح كنوز السنة) على غير ما كنت ظننت وخلاف ما قلت في التعريف به ، فاني لم أستفد منه أدنى فائدة

وأما المستقلون منهم وهم الأقلون فقد غلبتهم الأفكار المادية على عقولهم فقصاراهم عندهم مسلمات كأنها لا مجال للبحث فيها ، وقد قربنا مسافة الخلف بيننا وبينهم بما أقمناه في هذا الكتاب من البينات العلمية القطعية ، على أن القرآن لا يمكن أن يكون من كلام محمد (ص) ولا من مدارك عقله الظاهر ولا مما يسمونه بالعقل الباطن ، فاذا فرضوا أن للانسان عقلا باطنا لا تعرف حقيقته يدرك به من علم الغيب والشهادة ما هو خفي وخارق للعادة في السنن المعروفة لكسب العلم من الحواس والفكر ، وعللوا به ما يسمونه قراءة الفكر ومراسلة الافكار ، وادراك النوم بالاستهواء المغناطيسي ـ وقد بينا لهم أنه لا يكفي لتعليل الوحي المحمدي ـ فأي بعد بين هذا العقل الخفي المفروض في باطن الانسان وبين وجود عقل خفي مثله في خارجه (وهو ما نسميه الملك كما نسمي الأول الروح) يكون الوحي الحقيق باتصال أحدهما بالآخر كاتصال الكهربائية الايجابية بالسلبية وتولد النور من اتصالهما ، فان ما زعموه من انقداح وحي القرآن من عقل محمد الباطن وحده محال كما قررنا ، وهذا أقرب التعليلين والفرق بينهما قريب جدا فما ثم الا اختلاف الاسماء

وفوق هذا وذاك قيام البراهين الكثيرة على وجود الله الخالق لكل شيء الذي دون الايمان به لا يمكن القطع بشيء من مسائل الكون وسننه ، فانهم كلما أثبتوا شيئا عادوا فنفوه ، وكلما أبرموا أمراً نقضوه

لقد قرب ظهور الحق لأحرار هذه الشعوب وستراهم بعد ترجمة هذا الكتاب

يدخلون ان شاء الله فى دين الله أفواجا ، وقد بطلت ثقتهم بكل ما عداه من الأديان

لعل كتاب « الوحي المحمدي » قد وصل إلى جميع هؤلاء المستشرقين الذين يعرفون العربية فاني أهديته إلى من عرفت عناوينهم وأرسله غيري إلى أناس منهم ، ومن عاداتهم أن يبحثوا عن كل كتاب جديد له شأن ، وقد شكر لي بعضهم هذه الهدية بكلمة لم يزد عليها (كصاحب مفتاح كنوز السنة الدكتور فنسنك) وانفرد العلامة الدكتور موريتس الالماني منهم بابداء رأيه فيه فأنشر هنا نص كتاب الشكر الذي تفضل به وهو :

برلين ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٣

جناب الشيخ العلامة السيد محمد رشيد رضا المحترم

بعد التحية والاحترام فتفضلتم بارسال إلي نسخة كتابكم الجديد « الوحي المحمدي » فارجو قبول جزيل الشكر على هذه الهدية النادرة القيمة وبالخصوص على ما أظهرتم بها من عدم نسيان شخصي ، ولا حاجة للتأكيد لكم أني اطلعت عليه بغاية الاهتمام ولا ريب عندي أنه يجد كثله فى عالم العلماء

وفى أثناء هذا الاطلاع قد عثرت على جملة مسائل ونقط تستحق ملاحظات لكن نظراً لحجم هذا الجواب الذي لا يتسع أن أدخل فى جميعها أقتصر بواحدة منها أي فى معنى كلمة نبي الاصلي « ص ٢١ » عند العبرانيين القدماء فكان (نبيأ) فى أوائل عصرهم المتكلم بصوت عال ثم الناطق فى أمور أمته القضائية والسياسية أي مثل ناصح ومستشار لارشادها ، لكن شيئا فشيئا تبعا لتقدم الدين الاسرائيلي تغير موقعه وصفته فصار واعظا وناصحا فى الامور الدينية لانه كان معتقدا أن هذه الوظيفة صارت له بناء على أمر من الله بذلك وأنه المتكلم باسم الله والدليل على ذلك أنه يستعمل فى أول كلامه أي نبوته هذه الكلمات : هكذا قال ياهو (وهو اسم إله بني اسرائيل وغيرهما من الأمم الشرقية المنتشرة بين الحجاز وبين سوريا الشمالية) الخ

وفى الختام أكرر لكم الشكر الواجب مع تمنياتي الصميمة المخلص

دكتور موريتس

يقول هذا العلامة الكبير إن هذه الهدية نادرة القيمة ، وإنه اطلع على الكتاب بغاية الاهتمام ، وانه لا يرتاب فى أنه يجد في عالم العلماء ما ينبغي لكتاب مثله ،

فهؤلاء العلماء قد بلغتهم دعوته ، وفهموا ما تحديتهم به من الآية الكبرى على نبوة محمد (ص) وما نزل عليه من وحى القرآن ، ولم يقدر أحد منهم أن ينقضها ، او يأتي بتعليل لهذه المعجزة الدالة على إتيان محمد (ص) بهذا القرآن في أسلوبه ومعانيه وما فيها من العلوم العالية التي لخصتها في المقاصد العشرة والتأسيس أقوم دين وأقوى دولة وأمة فى عشر سنين فلما اعظم دول الأرض وأديانها فى ثلث قرن

وما ذكره الدكتور من الملاحظة على بعض مدلول لفظ النبي عند اليهود فهو منقول من قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوسط ، وقد ذكرت المعنى الذي أشار إليه فى كلامى على النبوة من الطبعة الثانية (ص٢٥) وهو فى (٤١) من هذه الطبعة الثالثة

ولا أزال أتمنى لو يتفضل علي بغير هذه الملاحظة وأخص بالذكر ما عساه ينتقده من جوهر الموضوع ولبابه ، وإذن أرويه عنه بنصه وأبلغه جوابي عنه

تعادى الأمم والدول وحاجتها إلى الاسلام

لا تزال دول أوربة وأمريكة وشعوبها على ما وصفتها به فى مقدمة هذا الكتاب من الشقاء والشقاق ، والرياء والنفاق ، وقد عقدوا فى هاتين السنتين مؤتمرا بعد مؤتمر واتفاقا بعد اتفاق ، ولا يزالون كحمار الرحى يدور ولا يبرح مكانه ، ليس للحق ولا للصدق عندهم قيمة ، فقد ظلوا منذ عقدوا عهد (فرسايل) يجرون فيه مع ألمانية على قاعدة البرنس بسمارك . المعاهدات حجة القوي على الضعيف ، حتى إذا اضطروها الى نقضها سرا كانقضوها جهرا ، وتجديد قوة حربية وجوية يرهبونها ، أذعنوا لمساواتها لهم فى الحقوق والكرامة الدولية كرها ، وكانوا يمارون فيها ويأبونها طوعا ، بل صاروا يخافونها أن تسطو عليهم ، ويجددون المحالفات الدفاعية التي أفضت الى الحرب العامة السابقة ، حتى دولوا لمحالفة الدولة الشيوعية عدوتهم كلهم ، وأنى لهم الفرار من حكم كتاب الله في الأمر بالوفاء بالعهود والنهي عن جعلها دخلا وخداعا لأجل أن تكون أمة هي أربى من أمة فتكون المعاهدات أنكاثا لا مندوحة عن نقضها كما بينا لك فى محله (١)

(١) راجع ص١٤٨ طبعة أولى ، و ص ٢٥٢ طبعة ثانية . و ص ٢٧٠ طبعة ثالثة

بعد، واستعلوا على ألمانية وهم يعلمون أنها تعلوهم علما وصناعة ونظاما، وفرائصهم ترتعد فرقا من استعدادها السري للحرب، وقد ذاقوا سطوتها القاهرة التي كادت تفتك بهم كلهم من قبل، ولكنهم اتكلوا على خداع معاهدتهم الخاطئة الكاذبة، وعلى تجديد حلفائهم التي قصدوا بها أن يكونوا إلبا واحداً عليها، وأن تكون في عزلة لا تجد فيها وليا ولا نصيراً

صاح زعيمها المجدد (هتلر) صيحة بنقض تلك المعاهدة، وتجديد السلاح الجوي والبحري والتعبئة، فراعتهم كزئير الاسد يجفل الغنم، وقالوا ان سلم اوربة وحربها رهن يديه، وعمرانها وخرابها بين شفتيه، وظلوا يصيخون السمع لما سيقوله في خطابه السياسي العام، حتى اذا ما ألقاه كان حجة بالغة له دامغة لخصومه، وصادعة لآخر حصن لدول الاتحاد الثلاث في وجهه (اتفاق ستريزا)، فعادت انكلترة تفاوض ألمانية في قواتها الجوية والبحرية وكانت تستكبر عن هذا، وكشرت عن أنيابها لايطالية فيما تحشره من جيوش وذخائر للعدوان على دولة الحبشة المعتصمة معهم بعهد عصبة الأمم، الذي هو في نظرها كسائر العهود الأوربية حجة القوي على الضعيف، وقد رأوا كيف رفضته بل رفسته كل من اليابان وألمانية برجلها. ولكن البلية كل البلية في تعارض مطامع الأقوياء، فزعيم إيطالية مغتر بقوتها جامح لفتح الحبشة أو نقص من أطرافها. وانكلترة أعز منها وأقوى، وإن هذا لصدع في اتحاد هؤلاء الاحلاف لا يلتئم، فهذا الزعيم المعتز بسلطانه الشخصي يرى خيبته بعد الشروع في وسائل الزحف قضاء على نفوذه، وأمته في اضطراب لا ينقذها منه إلا فوزه فيه، وألمانية لا بد لها من استعادة جميع مستعمراتها، وهي اقدر على إخضاع انكلترة في الهواء والماء. وماذا تفعل فرنسة اذا تركته انكلترة؟

وجملة القول أن هذه الدول وشعوبها لا تزال ولن تزال على ما وصفناها به في مقدمة الطبعة الاولى للكتاب من فساد لا علاج له الا هداية الاسلام، دين الاخوة الاسلامية والعدل والرحمة والسلام، فيجب المبادرة الى تبليغ دعوته، وإقامة حجته، وهو ما أعد عقلاء المسلمين لعموم هذه الدعوة عند ما ينهض زعيم مسلم لكفالتها وتوحيد النظام لها، ومن قارئه الشواهد على هذا فيما نشرناه من التقاريظ في آخره، وفي مقدمها تقريظ شيخ الاسلام التركي لمؤلفه، وحكمه بأنه فتح جديد في الدعوة الى الدين الاسلامي، ومن ذلك ما ذكره مؤيد لقوله، دال على استعداد في الامة لتقبيله

استعداد المسلمين لدعاية الاسلام

ذكرت في آراء شيخنا الأستاذ الامام من تاريخه (ص٩٣٩ ج ١) أن أمم الحضارة في الغرب سيذوقون من فتن مدنيتهم ومفاسدها السياسية ما يضطرهم إلى طلب المخرج منها فلا يجدونه إلا في الاسلام - إسلام القرآن والسنة لا إسلام المتكلمين والفقهاء - وأنه صرح بهذا مرارا في دروسه في الأزهر وفي غيره

وأقول الآن: لكنه ما سمع لقوله هذا صدى ، ولا وجد على نار المسلمين هدى ، فكان يرجح أن هداية القرآن ستظهر في غيرهم من الشعوب الحية ، وأن هؤلاء المسلمين الجغرافيين سيطلبون إسلام القرآن والسنة منهم تقليداً لهم كما يقلدونهم في الزينة والاباحة والاسراف في الشهوات التي أفسدتهم جميعا

وسمعت مثل هذا الرأي من الاستاذ المراغي وغيره من الأفراد ، ولعلي أوسع علما واختباراً لمسلمي الأقطار من كل هؤلاء وأجدر منهم بسوء الظن فيهم . ولكن ظهرلي بتقبل عقلائهم لكتاب الوحي المحمدي، بما تملوه به من إيمان وشهادةوبرجاء وثناء ودعاء ، أن استعدادهم لهداية القرآن والدعاية له قد دخل في طور جديد ،

ألم تر كيف تجاوبت أصوات المقرظين له في مصر وسورية والعراق وغيرها من الأقطار بقول القائلين إنهم كانوا يفكرون ويتمنون ويتساءلون قبله عن كتاب يصلح للدعوة إلى الاسلام فلا يجدون . حتى إذا رأوه وجدوه الضالة التي ينشدون؟ أو لم تر كيف شاركهم فيها أئمة المسلمين وملوكهم الموفقون

فعلم من هذا أن المسلمين لا يمكن أن تعود إليهم الحياة إلا بمثل ما بدأت به سلفهم من روح القرآن وهدي الرسول (ص) كما قال الامام مالك : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . وما ذلك إلا أن يكونوا على علم بالقرآن يوقنون به أنه مصلح لجميع البشر . وأن حملته يجب أن يكونوا أئمة البشر وهداتهم ، والمصلحين لما أفسدته المدنية المادية من عقائدهم وأخلاقهم ، فان لم يملكهم هذا اليقين فلا رجاء في دينهم ولا دنياهم ، ولكن نشر هذا اليقين فيهم يتوقف على نظام ، وزعامة يثق بها الخاص والعام ، وسيرون الدعوة له تبث في هذا العام ، ونرى قدر استعدادهم لتأييدها بأموالهم وأنفسهم فسرنا إن شاء الله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)

محمد رشيد رضا
منشىء مجلة المنار

خطاب الشيخ الاكبر في الجامع الازهر

نوهنا في الجزء الماضي بحفاوة الازهر بعودة الشيخ المراغي إلى رياسة مشيخة الأزهر والمعاهد الدينية ومشاركة جميع طبقات الأمة لهم فيها ، وقد وعدهم بأن يرد لهم الزيارة في الجامع الأزهر نفسه ويلقي عليهم خطابا عاما ، ووفى بوعده فكان يوما مشهودا ألقيت فيه الخطب والقصائد في تهنئة الأزهر وأهله بإمامهم المصلح الاكبر ، ثم ألقى عليهم الاستاذ الخطاب الآتي الجامع لمقاصد الاصلاح والتجديد وكانت آلة مضخمة الصوت توصل كلامه إلى أقصى أولئك الالوف المجموعة كأنداهم ، وهذا نص الخطاب ، والعناوين في اثنائه من وضع المنار :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

لله الحمد على نعمه ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه

وبعد : فقد رأيت واجبا علي أن أزور الازهر قبل بدء الدراسة لأحيي علماء الازهر والمعاهد وطلبة العلم في الازهر والمعاهد في دارهم كما حيوني في داري ، والازهر دار خاصة لكل من ينتسب إلى العلم ، ودار عامة للمسلمين .

وقصدت أيضا إسداء النصيحة إلى اخواني العلماء وأبنائي الطلبة بنسيان ما قد يكون باقياً في نفوسهم من ضغائن وإحن سببتها الحوادث الاخيرة التي تعرفونها لنستقبل الحياة العلمية في صفاء ، ونقبل على العلم بقلوب مخلصة لله ورسوله ، نقية من دنس الغل والحقد ، عامرة بالايمان :

والازهر مكان يستحق الاجلال ، فقد كان ولا يزال مصباحا تستضيء به جميع الامم الاسلامية ، ومنبعا صافيا لعلوم الدين ، ومستودع فنون العربية وأسرارها وبعض العلوم العقلية .

وقد اضطلع بحمل عبء المعارف الاسلامية وغيرها ، وخاصة بعد سقوط بغداد وضياع ذخائرها العلمية ، وصار المثابة الاخيرة ، والكعبة التي يؤمها طلاب العلم من جميع الاقطار . وما من بلد في مصر ، بل وما من بلد في أي قطر من

الاقطار الاسلامية إلا وهو مدين للازهر بما يعرفه أهله من الدين الاسلامي ، وبما بقي عندهم من علوم العربية

حمل الازهر هذا العبء وأدى الامانة كاملة، وله الفضل على المعاهد العلمية القائمة بجواره في مصر ، فهو أستاذها ، وهو شيخ هذه المعاهد جميعها

نعم : قد استقلت عنه بعض المعاهد أخيراً ، ولكنه لايزال له نصيب عظيم من التثقيف في المعارف الاسلامية وفنون العربية في أكثر هذه المعاهد . فلكم أن تفخروا بتاريخ طويل كله مجد وعظمة لهذا المعهد الذي تنتسبون اليه : تاريخ ظهر فيه من الائمة والعلماء والمؤلفين من خريجي الازهر من لا يحصيهم العد ، وقد كانوا سباقين للخيرات وكانوا أمرهم الى الله جل شأنه ، فحفظهم ورعاهم ، وشرح صدورهم ، وأنار عقولهم ، فترسموا آثار الرسول الاكرم صلوات الله عليه وتخلقوا بأخلاقه ، واعتصموا بهديه، وانتفع الناس بعلمهم وتأديبهم، وحلت آثارهم في البلاد جميعها كما يحل ضوء الشمس ونور القمر

أولئك آباؤنا وأجدادنا في سلسلة النسب العلمي، رضي الله عنهم ونفعنا بهم يجب أن نذكر هذا المجد ومآثره، ونحرص على الانتساب اليه كما يحرص الاشراف على أنسابهم ، وأن نحافظ على هذا المجد ونضيف اليه مجداً طارفاً ، اقتداء بأولئك الآباء والاجداد .

قد يسأل بعض الناس مافائدة الازهر؟ أو ماهي رسالة الازهر كما يقال اليوم؟ فأقول لهؤلاء : رسالة الازهر هي حمل رسالة الاسلام، ومتى عرفت رسالة الاسلام عرفت رسالة الازهر

موضوع الاسلام واتفاقه مع علوم العصر والحاجة إليها

الاسلام دين جاء لتهذيب البشر، ورفع مستوى الانسانية، والسمو بالنفوس الى أرفع درجات العز والكرامة . قد طوح بالوسطاء بين الناس وربهم، ووصل بين العبد وربه ، ولم يجعل لاحد فضلا على أحد إلا بالتقوى، وقدس العلم والعلماء، وقرر في غير لبس ما لقى بذات الخالق من الصفات . وما قرره في ذلك هو

منتهى ما سمت اليه الحكمة ، ووصل اليه العقل ، وأتى بتعاليم كلها ترجع إلى تهذيب النفس ، وتلطيف الوجدان ، وأبان أصول الاخلاق ، وشرع حل التمتع بالطيبات،ولم يحرم إلا الخبائث،ووضع حدوداً تحد من طغيان النفوس ونزوات الشهوات ، ورسم أصول النظم الاجتماعية وأصول القوانين . قواعد كلها لخير البشر وسعادة المجتمع الانساني .

هذه صورة مصغرة جداً للدين الاسلامي . ورسالة الازهر هي بيان الدين الاسلامي ، وشرح قواعده وأسراره ، ومتى أدى هذه الرسالة على وجهها فقد أدى نصيبا عظيما من السعادة والخير للجمعية الانسانية .

في القرآن الكريم حث شديد على العلم وعلى معرفة الله وعلى تدبر ما في الكون ، وليس هناك علم يخرج موضوعه عن الخالق والمخلوق ، فالدين الاسلامي يحث على تعلم جميع المعارف الحقة . وليس في المعارف الحقة الصحيحة المستقرة شيء يمكن أن يناقض أصول الدين ويهدمها .

نعم قد توجد معارف تناقض بعض ما وضعه العلماء في شرح القرآن والحديث والفقه وغيرها ولكنا لا نهتم لهذا ، فليسر العلم في طريقه ، ولنصحح معارف الماضين لكن على شريطة أن يكون ما يخالف معارفنا من العلم البرهاني المستقر

ولست أقصد بحديثي هذا أن يكون الازهر مدرسة طب أو هندسة ، أو كلية الكيمياء أو ما يشبه هذا ، ولكني أعني أن هناك علوما ومعارف لها صلة بالدين وثيقة تعين على فهمه ، وتبرهن على صحته ، ويدفع بها عنه الشبهات . هذه العلوم يجب أن يتعلمها العالم الديني أو يتعلم منها القدر الضروري لما يوجه إليه

هذا وقد تغيرت في العالم طرق عرض السلع التجارية ، وأصبح الاعلان عنها ضروريا لنشرها وترغيب الناس فيها ، ولديكم الحوانيت القديمة ومخازن التجارة الحديثة:وازنوا بينها تدركوا ما في طريقة العرض الحديثة من جمال يجذب النفوس إليها ، وما في طريقة العرض القديمة من تشويه ينفر الناس عنها ، وقد توجد في الحوانيت القديمة سلع أحسن صنفا ، وأغلى قيمة ، وأمتن مادة ، ومع ذلك هي في كساد .

تغيير طريقة التعليم والتصنيف

وكما تغيرت طريقة عرض العلم تغيرت طريقة عرض العلم ، وأحدث علماء طرائق تبعث الرغبة الملحة في العلم ، وتنفي الملل والسأم

حدثت هذه الطرق في إلقاء الدروس والمحاضرات ، وحدثت في تأليف الكتب أيضاً ، وهذا المثل ينطبق علينا : ففي جميع الكتب التي تدرس في الازهر وفي جميع العلوم التي تدرس في الازهر أعلاق نفيسة لاتحتاج إلا إلى تغيير طريقة العرض في الدرس والتأليف ، وفي الفقه الاسلامي نظريات تعد الآن أحدث النظريات عند رجال القانون ، وفي الفقه الاسلامي آراء يمكن أن يسير عليها الناس الآن من غير حرج ، وتحقق العدالة في أكمل صورها، ولكن هذه النظريات البالغة منتهى الجمال والحكمة يحجبها عن الناس أسلوب التأليف القديم

على الازهر أن يسهل فهم علومه على الناس ، وأن ييسر لهم هذه المعارف ، وأن يعرضها عرضاً حديثاً جذاباً مشوقاً

تطهير الاسلام من البدع

ومسألة أخرى يجب أن يعنى الازهر بها : تلك هي تطهير الدين الاسلامي من البدع وما أضيف إليه بسبب الجهل بأسراره ومقاصده . هناك آراء منثورة في كتب المذاهب وفي غير كتب المذاهب يحسن سترها ضنا بكرامة الفقه والدين

ومن الواجب أن يعترف بان المذاهب الاسلامية جملة تغني عن الاجتهاد في المسائل التي عرضت من قبل متى تخير العلماء منها

وأذكر قصة طريفة نجدوها في كتاب « الولاة والقضاة » للكندي :

« كان في مصر قاض شافعي المذهب في عصر الامام الطحاوي ، وكان يتخير لأحكامه ما يرى أنه محقق العدل من آراء الائمة ولا يتقيد بمذهب، وكان مرضي الاحكام لم يستطع أحد أن يطعن عليه في دينه وخلقه، سأل ذلك القاضي الامام الطحاوي عن رأيه في واقعة من الواقعات ، فقال الطحاوي : أتسألني عن

رأيي أو عن رأي أبي حنيفة ؟ فقال القاضي : ولم هذا السؤال ؟ قال الطحاوي: ظننتك تحسبني مقلداً ، فقال القاضي : مايقلد إلا عصي أو غبي ؟

فتحرير الاحكام نوع من الاجتهاد، ولكنه الاجتهاد الذي لم يغلق الناس أبوابه

إصلاح التعليم في الازهر واجب اجتماعي لاصلاح الامم الاسلامية في مختلف أقطارها وأجناسها ، وعلى كل مسلم أن يساهم فيه ما استطاع إلى ذلك سبيلا

بل أقول ان هذا الاصلاح ضروري للامم غير الاسلامية كلها بما يؤديه من الخدمة للحضارة الانسانية العصرية التي تنقذها مما هي عرضة من خطر الاباحة المادية والالحاد اللذين يتهددان الامم دعاة البلشفية والتعطيل الجاحدين لوجود الخالق والبعث والجزاء على الخير والشر ، فهذا الخطر لاعلاج له إلا هداية الدين (١)

وأنا أرجو الله سبحانه أن يوفق العلماء وطلاب العلم إلى الاخلاص في النهوض بالازهر ، فان الاخلاص في ذلك إخلاص لله ولرسوله وللمؤمنين ، وللدين الحق الذي وعد الله أن يظهره على الدين كله ، ويجعله هداية عامة لجميع البشر

احترام حرية الرأي

ونصيحة أقدمها للعلماء وطلاب العلم في الازهر راجيا تدبرها، وهي احترام حرية الرأي ، والتحرج من الاتهام بالزندقة والكفر

ولا أطالب بشيء يعد بدعة ، ولا أحدث في الدين حدثا بهذه النصيحة ، فهي موافقة للقواعد التي وضعها سلف الامة رضي الله عنهم وتروها مبسوطة واضحة في كتب الاصول وفي جميع كتب الامام الغزالي

وحاصلها - على ما أذكر - أن المسائل الفقهية يكفر منكر الضروري منها(٢) كالصلاة والزكاة ، وحرمة الزنا وشرب الخمر ، وقتل النفس والربا

(١) هذه الجملة مما زاده الشيخ الأكبر في خطابه ولم يكن مكتوبا فيه ولكننا سمعناه منه

(٢) المنار : المراد من الضروري المعلوم من الدين بالضرورة لا الضروري في العمل أي الذي يضطر الناس إلى العمل به ، واشترطوا في هذا المعلوم بالضرورة مكفرا أن يكون مجمعا عليه ، وهو يشمل العقائد والاحكام ولعل الشيخ الاكبر خص المسائل الفقهية بالذكر لأجل التفصيل الذي ذكره بعدها

أما إنكار أن الاجماع حجة ، وخبر الواحد حجة ، والقياس حجة ، فلا يوجب الكفر ، وما عدا ذلك من المسائل الفقهية لا إثم في إنكاره مطلقا ، على شرط أن يكون الانكار غير مصادم لنص أو إجماع

على هذا أجمع الصحابة رضي الله عنهم ، وأجمع عليه الائمة ، ولم يعرف أن بعضهم أثم بعضا

وإجمال القول أنه مادام المسلم في دائرة القرآن لا يكذب شيئا منه ، ولا يكذب ما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم بطرق قطعية ، فهو مسلم لا يحل لأحد أن يتهمه بالكفر

عرضت هذه النصيحة لانها تسهل على أهل الازهر معاشرة الناس،والعمل بها يمكن من نشر الدعوة ومن الجدل بطرقه المقبولة ، والعمل على خلافها منفر يحدث الشقاق ويورث العداوة

أسأل الله أن يهبنا رشداً ، وأن يملأ قلوبنا خشية وهيبة من جلاله ، ويملأها عطفا وشفقة ورحمة لعباده

وإذا كانت مهمة الازهر حمل رسالة الاسلام للعالم، فمن أول واجب على أهله أن يمدوا أنفسهم لتعلم اللغات : لغات الامم الاسلامية وغير الامم الاسلامية ،والله لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم

فليحقق الازهر القدوة، وليرسل الى الناس رسلا يفقهونهم في دينهم بلسانهم، وسأعنى بهذه المسألة كما أعنى بتثقيف اخواننا الذين أسماهم القانون «أغرابا» فان لهم من الحقوق والحرية في هذا الوطن ما لكل فرد من أهل البلاد . وأرجو أن يذكروا طويلا فيما يفرضه عليهم دينهم من الهداية والارشاد وإسعاد المجتمع

وخليق بنا أن نذكر بالحضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم من منن وأياد بيضاء على المعاهد الدينية ، وأن نسأل الله جلت قدرته أن يسبغ عليه نعمة العافية ويديم على هذه المعاهد خيره وبره ، وأن يحفظ حضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعيد ولي عهده المحبوب . والسلام عليكم ورحمة الله .

الهمزية، في مدح خير البرية

﴿ والدفاع عن الدين ، والرد على المبشرين ﴾

(نظمت بمناسبة احتفال الأمة الاسلامية بالمولد الشريف لعام ١٣٥٤)

بقلم (الاديب الشاعر) اليوزباشى محمد توفيق علي

النور المحمدي ـ الشريعة السمحة ـ تحريم الخمر ـ نجاسة الكلب والخنزير ـ حكمة الطلاق ـ حكمة تعدد الزوجات ـ تبشير الانجيل والتوراة بنبي الاسلام(ص) ـ المبشرون بعيسى (ص) ـ تناقض معقدة ـ مقارنة بين معجزات المسيح ومعجزات غيره من الانبياء والرسل ـ وجوب توحيد الخالق جل وعلا ـ التجاء الناظم اليه تعالى .

﴿ النور المحمدي ﴾

ذلك النور ساطعاً والضياء وصفه عنه يقصُر البلغاء

نور من سبح الحصى في يديه وجرى منهما وفاض الماء

أكمل الخلق صورة يبدع الله تعالى من نوره ما يشاء

مرسل جاوز السموات سبعاً واليه تناهت العلياء

وارتقى حيث لا ملائكة الله تعالى ارتقت ولا الانبياء

صاعداً في معارج القرب يحدو ه السنا ضافيا ويغشى البهاء

ذو مُحيا يصبو له البدر عشقا وله تنتمي ضياء ذكاء

رحمة كله وعلم وحلم ووقار ونجدة وسخاء

مثل من أنجبت (كريمة وهب) لم تلد عاقر ولا عذراء

(الشريعة السمحة)

ذو أتى بالتسبيح ذكراً حكيما فاذا الارض جنة والسماء

وحيه للعقول رَوح وريحا ن وفيه من كل داء شفاء

آية منه تعجز الانس والجن ولو أن كلهم فصحاء
ليكذب موسى وعيسى، وبغياً كذبته الشرور والاهواء
كيف تأتي على الشرائع آيا ت وضاء وسمحة غراء
وكتاب مفصل عربي؟ ليس يرضى بذلك البحلاء
كلما يرتقي الزمان يرى الخبـ ـر أوامره ملة سمحاء
سكبت صفوة الشرائع في كأ س بها ترتوي العقول الظماء

(الخمر)

واشهد اليوم ضجة تنكر الخمـ ـر وكأسا عنها سلا الندماء
ثورة الشر والجرائر والآ ثام ، أوفى بذلك الحكماء
رب بيت أقامت الخمر فيه أحملت عن رواقه السراء
فالعقول انتهكن الا اقل منها والكلى والكبود والاحشاء
حرمتها دهراً حكومة أمريـ ـكا ونادى برجسها الفضلاء
ثم عادت تلغي أوامرها بعـ ـد اعتداء وضلت الآراء
وسيأتي يوم قريب تزول الـ ـخمر فيه وتصرع الفحشاء
ويرى الناس أن شرع أبي القا سم خير ونعمة وهناء

(الكلاب والخنازير)

أثبت الطب فضل شرعك والجبـ ـر والباحثون والعلماء
فلعاب الكلاب سم زعاف ولحام الخنزير داء عياء[1]

---

(١) انتشر إنشاء المستشفيات للمعالجة من داء الكلب وأثبت العدوجود ديدان سامة في لحم الخنزير لا تعالج درجة الغليان

(الطلاق)

وشـرائع الطلاق أصبح في الـ ـدنيا مباحا يقره الفقهاء
عانقته كرها محاكم أوربا ونادى بنفعه الاذكياء
كيف عيش الزوجين خانهما الـ ـحب ولج الاذى وحل الصفاء
أعدوان يقرنان بحبل ؟ حالة لا يطيقها السجناء

(تعدد الزوجات)

(جنس الطيف) يزداد عدا ذلكم مايقوله الاحصاء[1]
غدا اليوم الاجتماع مريضـا واعتناق الزوجات فيه الدواء
ليس في غيرة النساء من المحـ ـظور ما تستثيره البأساء
كيف تقوى فضلى على عنت الدهـ ـر وما قد يجره الاغواء
فترهن من ثلاث ومثنى ورباع شعارهن الاخاء
في العدل بينهن وفاق والمساواة ألفة وهناء
وهو فرض على المعدد لا يقـ ـوى على حمل ثقله الضعفاء
إن في رفق شرع أحمد بالأ نثى افضلا يجله الشرفاء
وقديما حمى الضعاف ونجا هن مما يخفنه الاقوياء

(تبشير الانجيل والتوراة بنبي الاسلام ﷺ)

عظمت تلكم الاناجيل والتو راة لولا تقول وجتراء
أي عهد — لكنهم ضيعوه إنما يحفظ العهود الوفاء

(١) ومن ذلك الاحصاء ماجاء بالصفحة السابعة بالعمود الخامس من جريدة الاهرام الغراء الصادرة في ٣-٥-١٩٣٥ تحت عنوان (النساء كثيرات) من أنه يوجد في ألمانيا وحدها مليونان ومائتا ألف امرأة زيادة عما فيها من الرجال

بدلوا الوحي ورسالة إطفا … ء لنور ما إن له إطفاء
شهد الصادق المسيح عليهم … في الاناجيل أنهم أشقياء
في ثياب الحملان منهم ذئاب … خاطفات فما هم أنبياء
فاحذروهم وإن أتوا بالاعا … جيب فليسوا مني وهم أدعياء
لست أرضى من قال يارب منهم … لي ولكن يرضيني الحنفاء
ذلكم ما رواه إنجيل «متى» … فليراجع نصوصه القراء (*)

المبشرون بعيسى (ص)

عجباً للمبشرين بعيسى … أمةٌ دينها الهدى والصفاء
بعد ما بشر المسيح بهادٍ … مثل ما بشرت به الانبياء
فهو (نور الحق) الذي لقنه النا … س إليه المسيح وهو (العزاء)
وليراجع من شاء انجيل (يوحنا) … ففيه للباحثين الرضاء (١)

(*) جاء بالاصحاح السابع من إنجيل متى عدد ١٥ و٢١ و٢٢ و٢٣ قول المسيح واحترزوا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان لكنهم من داخل ذئاب خاطفة . ليس من يقول لي يارب يدخل ملكوت السماء بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات . كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط ، اذهبوا عني يافاعلي الاثم

(١) ورد بالاصحاح الخامس عشر من انجيل يوحنا بالآيتين ٢٦ و ٢٧ قول المسيح عليه السلام - ومتى جاء (المعزي) الذي سأرسله أنا إليكم من الآب (روح الحق) الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء - وجاء بالاصحاح السادس عشر منه بالآية ٦ قوله عليه السلام - لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم (المعزي) - وبالآيتين ١٣ و ١٤ وأما متى جاء ذاك (روح الحق) فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لايتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به

وهو ذاك الذي يُسأل في الا … جيل عنه يحيى فأين الخفاء (١)

فلقد بشرت بمبعثه التو … راة لولا جحودهم والمراء

فهو ذو من (جبال فاران) مبعو … ث ومن تلكم الجبال [حراء] (٢)

أينع الوحي وازدهى في ذراه … وتغنى فأطرب الانشاء

وتجلى على البسيطة نور … وكسا الكون رونق وروُاء

حِكمٌ حين أنزلت ختم الوحـ … ـي وعمت على الورى النعماء

وطوت معجزات كل رسول … ولها الخلد وحدها والبقاء

نقائض معقدة

يا لها من نقائض تحرج الفهـ … ـم عليها آسٌ وفيها التواء

واعتقاد معقد ذنب الشعب … لديه محجة واستواء

يُصلَب الربُّ في خطيئة عبد … كيف يرضى بذلك العقلاء

لم لم يغفر الخطيئة عفوا … ما له فيه عزة وإباء

إن يكن ربكم فمن كان يدعو … ربه وهو خاشع بكاء

وإله في وجهه يبصق الأشـ … ـرار هزوا ويزدرى ويساء

لم لم يقطع اليهود أبوه … كيف تنسى حنوها الآباء

(١و٢) يحيى بن زكريا عليهما السلام وهو المعروف في الانجيل باسم يوحنا المعمدان فانه لما جاء قومه كما هو مذكور بانجيل يوحنا بالاصحاح الأول بالآيات ١٩و٢٠ و٢١و٢٢ وسألوه أأنت النبي أجاب بما وهذا نص الآيات سالفة الذكر-١٩ وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ٢٠ فاعترف ولم ينكر وأقر أني لست أنا المسيح ٢١ فسألوه إذاً ماذا . إيليا أنت؟ فقال لست أنا – النبي أنت فأجاب لا – وإذاً فقد كانوا يترقبون بعثة النبي (ص) وذلك لما هو مذكور عندهم بالتوراة من أنه يبعث رسول من جبال فاران وهي جبال مكة منها جبل حراء الذي مازال ينقطع فيه (ص) للعبادة إلى أن أوحي اليه

ويكم باع ذا الجلال يهوذا   واشترى منه ربه الاعداء
(أثلاثون فضة) ثمن الله ؟   تخطاه بيعهم والشراء
بل أحبوك مسرفين وغالوا   في ولاء هُذالك منه براء

مقارنة بين معجزات المسيح وغيره من الانبياء (ع.م)

أم لأن المسيح قد أنجبته   ذات طهر صديقة عذراء
مثله آدم : فهل كان ربا   آدم ؟ أو إلهة حواء ؟
أم لأن المسيح أحيا فتاة   إذ دعا الله فاستجيب الدعاء
حزقيال النبي أنشر جيشا   عاث فيه البلى وجال الفناء[١]
أم مشى فوق لجة يتهادى   فارعوى خاشعاً وقرّ الماء
فالعصا قد علتم انفلاق البحـ   ـر والموحى بها وحل القضاء[٢]
وله البينات والجبل المتوق   والمن واليد البيضاء
ولخير الورى المكمل صلى الله   والمتقون والاصفياء
معجزات ما ان يلم بها الحصـ   ـر ولا يستطيعها استقصاء
نصرته الرياح والرعب في (الخنـ   ـدق) حتى تشتتت الحلفاء[٣]
وتراءى جبريل يسطع في (بد   ر) تليه كتيبة شهباء
وله الجذع حن والقمر انشـ   ـق وظهر البراق والاسراء
ومشت أيكة إليه دعاها   تسحب الجذع غضة خضراء
ولكم سح إذ دعا ربه الغيث   ولانت لوطئه صفواء (٤)

«١» من أنبياء بني اسرائيل وقصته مبسوطة في سفره من العهد القديم وليس جابت عندنا «٢» المتوق المرفوع «٣» الحلفاء قريش وغطفان ويهود «٤» الصفواء الصخرة الملساء

ماله إن مشى على الارض ظل		ساطع النور ماله أفياء (١)
وظلته بل منه ظلت الشمـ		س لزاما غمامة وطفاء (٢)
كم دعا الله والغذاء قليل		فنما واستفاض ذاك الغذاء

﴿ وجوب توحيد الخالق جل وعلا ﴾

آن للارض أن تقدس ربا		واحد الذات ماله أجزاء
آدم عنده ونوح وموسى		والمسيح الذي تجل سواء
وغني عن العباد جميعا		ما له زوجة ولا أبناء
وله الخلق أجمعون عبيد		وله المجد كله والبهاء
ورءوس الطغاة موطىء نعليـ		ـه (٣) وتلك الجلالة القعساء
ملأ الكائنات حسا ولكن		لا ترى الشمس مقلة عمياء
فهو نور مطلق كل نور		خفيت في ظهوره الاشياء
تتلاشى الشموس فيه وتخبو		وتغيب البروج والاضواء

***

أيها المشرك المعدد وحد		ان قول المعددين هراء
لو مع الله في السموات والار		ض شريك اقامت الشحناء
بل هو الله واحد ماله في الـ		ملك ثان ولا له أكفاء

***

أيها الجاحد المعطل صدق		لا يكن من هداتك الاغبياء
وانظر الارض والسماء وفكر		هل بلا صانع يقوم البناء؟

---

(١) الأفياء الظلال (٢) الوطفاء المسترخية الجوانب لكثرة مائها

(٣) المنار: هذا كناية عن قهره تعالى لهم وهو تعبير يتوقف على النص ولم يرد ولكن ورد لفظ (القدم) في قهر جهنم

انما الارض ذرة في رحيب الـ ملك فالملك شاسع والفضاء
فاعبد الله لست شيئا ولا تكـ فر وتذهب بلبك الخيلاء
أنت رد على جحودك قاض فصلته العروق والأعضاء

التجاء الناظم إليه تعالى

ما الذي تبلغ النوائب مني يامليكي ولي اليك التجاء
أنت درعي وأنت سيفي ورمحي ونبالي وعسكري واللواء
لا أبالي وذو الجلال نصيري أن خصمي الملوك والوزراء
لست بالاقوياء أحفل لكن إن شكاني لبدلك الضعفاء
لك يارب بطشة إن تعاقب عندها الارض والسماء هباء
إن تكن غاضباً عليّ تعاليـ ـت فلا ناصر ولا شفعاء
على سيء وظلمي النفس ولنبركي تضج منه السماء
أستحق الصلي في النار لكن لي في عفوك الكريم رجاء
ليس مثلي لجنة الخلد أهلا كيف ترنو للمذنب جوزاء
ذلك الفضل في غنى عن طموحي انما يستحقه الصلحاء
رب نعمى على جحود تولت ما لنعمى على جحود بقاء
كيف آسى على سرور تولى ويسار أودت به ضراء
إن من كنت كنزه وغناه يستوي الضيق عنده والرخاء
ليست الكيمياء منا بعيدا انما حمد ربنا الكيمياء
لست أخشى ضلالة وبقلبي بسنا وجهك الكريم اهتداء
فاهدنا للفلاح والخير والتقـ ـوى فمنك الهدى ومنك الحياء
وأحنا في بلادنا من أوربا سيلها جارف ونحن الغثاء

(انتهى)

كتاب الوحي المحمدي

لداعية الاصلاح العالم المستقل ، والناظر المستقل ، الاستاذ الشيخ مصطفى أحمد الرفاعي اللبان بأسيوط وهو مما جادنا بعد الطبعة الثانية (قال)

نظر أبو العلاء المعري إلى نفسه فرآها وقد صفت ونجت من مزالق معظم النفوس وأدرك عقله نقيا من الخرافات والاوهام التي أضلت العقول، وألفى روحه غنية بالفلسفة الصحيحة التي ترى في المادة ستاراً كثيفا يسدل على الحقائق، ووجد شاعريته فياضة بأرق المعاني ، في أدق الالفاظ والمباني ، فهتف من أعماق قلبه منشداً

وإني وإن كنت الاخير زمانه　　　لآت بما لم تستطعه الاوائل

ونحن بدورنا ننظر إلى نفس السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فنراها وقد أشربت حب الدين الاسلامي الحنيف والدفاع عنه إشراباً، و نرى عقله وقد أدرك أسرار الاسلام إدراكا ، ونلفي روحه صافيه نقية تقية قد أعجبت أحمى الآثار إعجاباً ، ونسبح في مؤلفاته فمثله الطود الأشم والفارس المجلي ، والمحقق النادر المثال ، والكاتب المبحوث الذي لا يشق له غبار ، ثم نقع في سياحتنا على كتابه (الوحي المحمدي) فنقف طويلا ونهتف مثل ما هتف المعري منشدين مخاطبين السيد الرشيد المرشد :

وأنت وإن كنت الاخير زمانه　　　أتيت بما لم تستطعه الاوائل

ولقد كنا نؤمن بأن الله تعالى أوحي الى عبده ورسوله ﷺ ما أوحى ، مستدلين بنصوص القرآن الكريم وببعض البراهين العقلية التي تخير (؟) الوحي الى النفوس الصافية الراقية ، ولكننا ما كنا قادرين أن نقنع بهذا ذوي العقول العصرية ، وأولي البحوث الدقيقة القوية، فاذا دار النقاش بيننا وبين فريق من هؤلاء لم يمنحهم كثيراً ما ندلي به ، وألقوا في سبيلنا عقابا ، وافتجروا (١) حفراً وأقاموا متاريس،

(١) افتجر الكلام اختلقه لم يتبع به احدا ولم يتابعه عليه أحد. فلعل الاصل: افتجروا شبها ، واحتفروا حفرا

وغرسوا أشواكا ، فتنتهي المناظرة ولا اقتناع ولا ارضاء، وينشر عنا العجز عن بيان وجه الحق في هذه المسألة مع أهميتها وخطورتها وعمها العظيم إذا أحسن تبيانها، وأتقن توجيهها وعرضها على طالبيها ، فكان كتاب (الوحي المحمدي) للسيد الشريف والمصلح الكبير ، أستاذنا محمد رشيد رضا صاحب المنار وافيا بالمطلب على أتم وجوهه، كافيا في الاقناع إلا لكبر متشبث متعنت، حجة صادقة لا تدفع على صحة الوحي الرباني لرسول الله ﷺ سيد العالمين، وخاتم الانبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

يرى القارئ الوحي المحمدي مقدمة وجيزة بديعة تجمل الكتاب وتبرز مغزاه في صورة مستملحة جزلة طيبة ، يعلم منها ما يحجب الافرنج عن الاسلام : من الكنائس المادية ، والسياسية الخادعة ، وحال المسلمين الواهية ، وما يعوق الاجانب عن فهم القرآن : من جهل بلاغته ، وقصور ترجمات القرآن عن ادراك غايته، وعدم وجود دولة اسلامية تدافع عن هدايته ، ويفهم منها القصد من الكتاب على أتم وجه من وجوه الصواب . ويحول القارئ بعد ذلك في جنة الكتاب الغناء فيعرف معنى النبوة والوحي والرسالة وحاجة الناس اليها ، ويدرك عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومقدار ما جنت عليها كتب السابقين بما يجري على الشرور والمفاسد ويتيقن وجوب ايمان الناس برسول الله ﷺ فاتباعه هو الدواء الناجع لأدواء الهيئة الاجتماعية ويتنقل القارئ من شجرة النبوة الوارفة الظلال إلى أن نبوة الرسول ﷺ هي الممتازة ، فنبوة الانبياء الاسرائيليين كانت – على قولهم – أشبه بصناعة تتلقى في مدارس خاصة ، ونبوة موسى الكليم عليه السلام قد ينكرها الملاحدة لانه تربى في بيت فرعون وهو بيت علم وتشريع، فلا عجب اذا جاء بشريعة كالتوراة. ونبوة المسيح عليه السلام يعقب عليها الملاحدة أيضا فينتقصون قدرها ويغضون من قيمتها، ويقولون إنه لم يأت بشيء جديد . وأما نبوة الرسول ﷺ فلا يمكن الطعن عليها بمثل هذا لان سيدنا محمداً ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يتصل ببيئة علم أو شريعة، فمجيئه بهذا الدين دليل صدقه وحقيقة رسالته . والحقيقة أن نبوة الرسول ﷺ مثبتة لغيرها من النبوات لا تصح إلا من طريقها ومشكاة نورها

وعتلي . القاري . بعد هذا علما وتحقيقا حين يقرأ الفصول المليئة عن الادلة العقلية والكونية على صدق الوحي المحمدي الالهي فيطمئن قلبه وتستريح نفسه ، وينشرح صدره :ويشكر لله توفيق السيد رشيد حتى ألف هذا الكتاب الذى أنار طريق الوحي بآلاف المصابيح الكهربائية الساطعة القوية . ثم يرتوي القاري من نهر فياض عذب صاف يجري منه التحقيق ذهبيا عسجديا ، فيعرف مقاصد القرآن الكريم وهدايته للبشر وإظهار الحق في الايمان بالله تعالى وفي عقيدة البعث والجزاء ويلمس الاصلاح القرآني المظلم النفس والروح والجسد والافراد والجماعات ، والنهضة التي أزجاها في الدولة والسياسة والاجتماع والاقتصاد والآداب وحياة الاسرة . فاذا انتهى من الكتاب خرج منه بكنز ثمين من العلم الصحيح النقي ، وانتقل الى جو من السعادة فسبح بما وصل إليه من هدوء في نفسه واطمئنان في قلبه ، واقتنع في عقله بذلك نفسه أن يصيح : حياك الله أيها السيد الرشيد لقد سددت باصلاحك ، ورشدت بمباحثك القيمة الدالة على اشراق نور الحق في قلبك ، فهنيئا لك عملك ، ومشكور لك سعيك

ولقد استوعبت كتاب الوحي المحمدي ، وهنئت باعتراعه وارتشافه عدة مرات فرأيته رحيقا من العلم مختوما ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . وأنا أشهد صادقا أن السيد أدى بكتابه إلى العالم الاسلامي أجل الخدمات ، وعبّد للباحثين من الغربيين والمصريين منهج البحث الهادي ، الرزين ، القوي المبين ، وأسقط حجج الذين كانوا يحتجون بأنهم غير واجدين من يقدم لهم المطالب سائغة ميسورة . وسيكون له ان شاء الله أثر جليل في توجيه المباحث الدينية وجهة طيبة في صالح الاسلام ومستقبله العتيد باذن الله . ولقد ظهر اخلاص السيد في كتابه فطبع مرتين في أشهر وأقبل عليه الشرق والغرب وترجم الى عدة لغات . أدام الله نفعه ، ونشر شذاه وعرفه ، وأطال عمر السيد ليتحف العالم الاسلامي بدرره الغالية وتحقيقاته السامية انه أكرم مسئول وعلى كل شيء قدير مصطفى أحمد الرفاعي اللبان

(المؤلف) قات المقرظ الكلام في دعوة علماء شعوب الحضارة الى الاسلام وتحديهم بمعجزات القرآن

﴿ الوحي المحمدي ﴾

بقلم الاستاذ العلامة المتكلم الفقيه الكاتب النظار ابراهيم إطفيش الميزابي الجزائري

أجل كتاب في علوم القرآن ، وأفخم سفر في جلال القرآن ، ومعجزة من معجزات القرآن . كتاب (الوحي المحمدي) طالع أيها المعتز بالقرآن ، ويا طالب منهاج الهداية المحمدية هذا السفر الجليل تر أبدع مؤلف وأسنى ما جاء به القرآن من هداية البشر أجمعين ، إن (الوحي المحمدي) علم وفق الله اليه مؤلفه العلامة الجليل السيد رشيد رضا ، علم مستخرج من كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لقد كتب في علوم القرآن كتب كثيرة ولكنها لم تبلغ أن تأتي بما جاء في الوحي المحمدي حتى أصبح هذا الكتاب آية في الابداع ، وغاية في كشف معاني الكتاب المنزل على قلب محمد ﷺ . فيه الحجة على البشر أجمعين ، إن القرآن يدعوهم إلى الانضواء تحت لوائه ، ضامنا لهم كمال السعادة ، والشمول بالنعم الروحانية وجلال العزة ، إن هم أخذوا بما جاء به من عند الله الرحمن الرحيم ، كشف هذا الكتاب مناهج السعادة للامم ، وسبل الهداية الشاملة لطبقات البشر وأجناسه ، حتى أصبح علما برأسه ، يجب أن يعتنى بتدريسه بين الفنون العالية لتخريج رجال عالمين في الهداية إلى شريعة الله التي أكملها وأتم بها نعمته على خلقه

لقد أخرج المصنف هذا الكتاب للامم ، وهو أحسن ما أخرج للناس من جهود العلماء ، فلا ريب أن العلماء في جميع الامم ستتلقاه بالقبول وسيترجم إلى جميع اللغات ، لانه هو الكتاب الذي تنشده اليوم العقول السليمة في كل الشعوب وسيهتدي بهداه من أراد الله له السعادة من بين أولئك العقلاء الذين يسعون وراء الحق لانه الحق ، ويدركون أن القرآن كتاب من عند الله هدى وبشرى لأولي الالباب ، لا سعادة للبشر إلا به ، ولا سلام إلا باتباع هديه

ولعلي أكون قد أديت واجبا إذا لاحظت للمؤلف الجليل أن يعيد النظر في مسألة الرقيق فإن الاسلام جعلها حكما مستمرا لما فيه من حكمة اجتماعية ، ولم يوجد وضعاً لابطال الرقيق بالتدريج السريع ولكن الرقيق يبطل بطبيعته إذا دخل كافة الشعوب في هداية الربانية فوحدوه وعبدوه واتبعوا النور الذي أنزل على محمد ﷺ وعلى آله

(أول كتاب من حضرة صاحب السعادة هارون سليم باشا أبوسحلي)

(مدير المنوفية في ذلك العهد)

سيدي الاستاذ الاجل السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد وصلني كتاب الوحي المحمدي الطبعة الثانية يوم سفري في رحلة بحرية إلى مرسيليا وكانت فرصة لمطالعته كله وقد خرجت منه بأنه خير ما أخرج الناس في موضوعه وقد أعطيت التعليمات لمجلس المديرية لطلب ٦٦ نسخة ليكون في كل مدرسة أولية وابتدائية نسخة ولما كان واجب كل مسلم نشر هذا الكتاب بأوسع ما يمكن أرجو أن ترسلوا باسمي ٣٠٠ ثلثمائة نسخة على محطة شبين الكوم لتوزيعها، وثمنها ٣٠ جنيه حسب البيان الوارد في كتابكم نرسلها عند إتمام التوزيع. وأختم كتابي هذا بتوجيه واجب الشكر لكم تلقاء هذا المجهود العظيم المضني، واني في انتظار الجزء الثاني ولكم وافر التحية من المخلص في ٣١ أغسطس سنة ١٩٣٤ هارون سليم

(المؤلف) ان هارون باشا هذا من خير رجال حكومتنا عناية بالدين علما وعملا، بل لانعرف له في رجال الادارة مثلا، وقد طلب منا بعد ما تقدم مائتي نسخة ثم ارسل ثمنها، ولما كان المعهود من امثاله رجال الادارة أن يوزعوا على وجهاء مديرياتهم كثيرا من الكتب غير النافعة محاباة لاصحابها فيقبلها الوجهاء ارضاء للمدير على كراهة موضوعها وغلاء أثمانها وكان يعلم أن مثلي ينكر ذلك عليهم - كتب إلي أنه لم يتبع سنتهم وإنما بين للوجهاء موضوع الكتاب في إقامة حجة الدين وبيان حقيقته وانه يعتقد أن قراءته واجبة عليهم وعلى أولادهم ولاسيما تلاميذ المدارس وتخيرهم، وأني اذا شئت كتب الي أسماء من اشتروا لاسألهم، فكتبت اليه لا إنكار على من يدعو الى الله فيما يتخذ من حض الناس على معرفة عقيدتهم واصول دينهم، فانه يصدق على هؤلاء ما صح في حديث من « يقادون الى الجنة بالسلاسل » ثم اتفق ان رأيت نقيب الاشراف المنوفية بمصر فأخبرني بمسلك المدير في الترغيب في الكتاب وكيف تلقوه بالقبول شاكرين

(تقريظ جريدة حضارة السودان

أهدتنا إدارة مجلة المنار الغراء كتاب (الوحي المحمدي) الذي ألفه العلامة المحقق مصباح الاسلام السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الغراء

وقد جاءت مباحث هذا الكتاب كسائر مباحث مؤلفه الثمينة سواء في تفسير القرآن الكريم أو في مباحث مجلة « المنار » نوراً وهدى للناس في تبيان حقائق الدين الاسلامي فهو بلا ريب فتح جديد في الدعوة الى هذا الدين الحنيف القويم وقد تمكن مؤلفه وهو ذلك العبقري الديني الذي سيط دين الاسلام بلحمه ودمه من أن يوفق بين الدين والعلم بطريقة يعجز غيره عن الاتيان بها، فالرجل عالم قوي الايمان وناهيك ما تنتجه قوة الايمان اذا توافر معها العلم، والكتاب نفدت نسخ طبعته الاولى قبل أن يحول الحول على طبعها لتهافت العوالم الاسلامية على النهل والعلل من مورده العذب، وقد صدر طبعه الثانية بمقدمة استغرقت عشرة مباحث هي وحدها تعد كتاباً، ثم أتى بعدها بما نحته لها قد اشتملت على اربع مسائل، ثم انتقل الى الفصل الاول وهو يشمل ست مسائل، فالفصل الثاني وفيه عشرة مسائل فالفصل الثالث وقد اشتمل على ١٧ مبحثاً فالرابع وقد اشتمل على ستة مباحث فالفصل الخامس وقد اشتمل على ٧٥ مبحثاً . وما من مبحث من هذه المباحث يمر عليه المطالع الا ويشعر أنه في أشد الحاجة الى فهمه من الوجهتين الدينية والمدنية

وقد ذيلت طبعته الثانية بنحو ٢٣ تقريظا في مقدمتها تقريظا العاهلين العربيين ملكي الاسلام، الامام يحيى حميد الدين إمام اليمن وصاحب العظمة السلطان عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد، في كتابين موجهين من لدنهما الى المؤلف، وتقريظ صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي المصلح الاسلامي الكبير المعروف لدي سكان هذه البلاد، وتقريظ أمير البيان المشهور الامير شكيب أرسلان، وغيرهم من الائمة الاعلام ورجال العلم والدين

وإنا لنرى أن هذا السفر واجب على كل مسلم وجوبا عينيا ان يطلع عليه وان يتفهمه ليتذوق منه حلاوة الاسلام ويرى بمرآته بهجة القرآن ونوره ساطعا يهدي الى سواء السبيل عن حضارة السودان بتاريخ ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٣٤

(كتاب للفاضل الغيور الشيخ محمد عثمان في إلدورت ـ غنيا)

(بسم الله)

حجة الله على العالمين فضيلة الاستاذ الأفخم ، والمصلح الأعظم ، السيد محمد رشيد رضا المجدد لدين الله والناشر لوحيه ، أمد الله له في الحياة منصوراً ، ولا زال لاعلاء كلمة الله ظهيراً . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فأرفع لفضيلتكم بأنه وافاني كتابكم الوحي المحمدي فخررت ساجداً لله شكراً عند ما ظهر لي انتصار نوره الساطع ، المنذر من لا يؤمن به بعذاب واقع ، ما له من دافع ، وكم كان فرحي عظيما ، وسروري جسيما ، لا أستطيع أن أشرحهما ، فتلوته مراراً وكلما كررته ازداد شغفي حبا لتلاوة كتاب الله وتدبر معانيه ، وزادني همة ونشاطا في تبليغه إلى أبناء وطني المهجورين ، وحضهم على نشر الدين في هذه المستعمرة وأحيائها التي تقلص منها ظل الاسلام السائد سابقا ، وتهدمت فيها لغة القرآن ، وقوض منها مجد الاسلام العربي الزاهر في العصر الغابر ، بسبب تفريط مسلميها في نصرته وركونهم إلى التوسل بأصحاب القبور والتقرب اليهم بالقرابين والنذور ، والآن بفضل الله وإرشاد منارکم الأغر ، شرعت تتلاشى البدع والخرافات ، وتضمحل العقائد الفاسدة في أبناء الناطقين بالضاد

نعم يا صاحب الفضيلة لقد أرهقتمونا بنعمكم الروحية ، وتعاليمكم الدينية ، التي أخرستنا حيرة بأي لسان نقدم شكراً ، وجوارحنا وإحساساتنا كلها ألسنة شكر ، ياليت شعري كيف أشكر ، وياويح قلبي كيف أثني وأحمد بعد أن أثنت عليكم نجوم الهدى ، وكواكب الارشاد ، وشموس البلاغة ، وأعلام الاسلام ، وأرباب الاقلام ، وأمراء البيان ، ولا يسعني والضعفاء إلا الدعاء لكم بما يحبه الله ويرضاه ، وأن أهنئكم بأصدق التهاني على نجاحكم الباهر في هذه المساعي الجليلة للاسلام وأهله التي سيثنيها كل سيد ، ويقصر عن إدراكها التناول ، لاسيما إبرازكم لهذا الوحي المحمدي

المقدس أمام الاديان والملل نقيا من الخرافات والبدع التي ألصقها به علماء السوء المبتدعون، وكن عليه حجابا من اهتداء العقلاء ومفكري الامم الراقية بهديه المبين، ووسائل لطاعن الملحدين، ومثالب المكذبين، ولما مزقت هذه الحجب الحسان بيناتك، ودمغت حججهم ببلاغته السماوية، انقلبوا على أعقابهم خاسئين، يتحدى آياته الكونية وعجائبه العصرية، ومعجزاته السرمدية، فأخرست أفواههم عن الجدال، وبهرت أعينهم عن الاحتقار، ودككت عقائدهم عن النضال، حتى آمنت القلوب، ولكن الالسنة والافواه بآيات الله يجحدون الخ

﴿ كلمة الاستاذ العلامة النقادة الشيخ محمد البشير النيفر التونسي ﴾

من علماء جامع الزيتونة الاعلام من كتاب طويل له في رمضان سنة ١٣٥٣

وكنت في أثناء هذه المدة أطالع منار كم المنير، وما ينقطع عني من أعداده أشتريه من إحدى المكتبات، وكان فيما قرأت من مباحث التفسير ما كتبتم عن الوحي المحمدي، فحمدت الله أن كان في علماء المسلمين في هذا العصر مثلكم، وكنت أقول: لو قرأ هذا منكرو الرسالة المحمدية بانصاف وفهموه حق فهمه لآمنوا بسيدنا محمد ﷺ كلهم أجمعون

وقد كنت قرأته في المنار متفرقا، ثم أعدت قراءته متصلا في الجزء الحادي عشر من التفسير، فجزاكم الله أفضل ما جزى به خادما لدينه، وبارك في عمركم تخرجون للدنيا أمثاله، فتكون كلمة الحق هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلى

وما أنكرت فيه إلا كلمات في آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام أذكر أنني رأيت مثلها في إحدى مقالاتكم في (شبهات النصارى وحجج الاسلام) اه

قد اختصرت في هذه الطبعة الثالثة أكثر التقاريظ التي نشرت فيها قبلها وحذفت بعضها لطولها وما فيها من التكرار ونقل بعض مسائل الكتاب للتنويه بها أو مشاركة أصحابها لنا فيها، وبهذا وجدنا مكانا لغيرها، ولم نتصرف بشيء من ذلك بزيادة ما، ولا باختصار يغير المعنى

﴿ حكمة نشر هذه التقاريظ ﴾

(ختمت بها تقاريظ الطبعة الثالثة)

الغرض من نشر هذه التقاريظ إعلام قراء الكتاب من غير المسلمين (ومن الجامدين على تقليد المتقدمين منهم الذين إذا رأوا كتابا في الدين لمؤلف عصري أعرضوا عنه ولم يقرءوه لظنهم أن الاحياء لا يوثق بعلمهم) أن ما فيه من أصول الاسلام وحكمته متفق عليه ليس رأيا لي فيه ، وإن كان فيه مالا يوجد في غيره

ذلك بأن الاحرار المستقلي الفكر منهم يقيسون دين الاسلام على غيره من الاديان فيظنون أن أكثر عقائده وأصوله مسلمات غير متفقة مع العقل والعلم الصحيح والمصالح العامة ، ويظنون أن مايسمعون من حكماء المسلمين موافقا لذلك هو رأي لهم ، كما قال بعضهم في رسالة التوحيد للاستاذ الامام إنها فلسفة الشيخ محمد عبده سماها اسلاما ، وقال لي مستر متشل انس الانكليزي الذي كان وكيلا للمالية بمصر مرارا عند ما كنت أشرح له بعض أصول الاسلام وحكمته : هذا فلسفة لا دين ، حتى قال لي مرة اذا كان علماء الازهر يوافقونك ويوافقون الشيخ محمد عبده على ماتقولون فانا أعلن أني مسلم

وهذا كتاب فيه من حكم الاسلام في أهم أصوله وفروعه أكثر مما في رسالة التوحيد ومما كان يسمعه مني متشل انس وأمثاله ، وفيه من شواهد القرآن مالا يمكن أن يقال معها إنه من رأيي ، وقد اتفق على الشهادة له العلماء والادباء والكتاب في الاقطار ومن جميع الطبقات وفي مقدمتهم شيخ الازهر عاصريح في تفضيله على جميع الكتب في موضوعه (إثبات الوحي والنبوة وإعجاز القرآن وأصول الاسلام الدينية والمدنية) وسيرون من فائدته في دعوة غير المسلمين الى الاسلام وفي تثبيت المسلمين في دينهم ما هو فوق ذلك إن شاء الله تعالى ، ولله الفضل والمنة (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وصلوات الله وسلامه على رسوله محمد خاتم النبيين ، وآله وصحبه الهادين المهديين ، وجميع المهتدين بهديه إلى يوم الدين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين

كتاب حياة محمد (ص)

(الحكم بين المختلفين فيه)

(٢)

(المنكرات المنتقدة التي خصها الاستاذ الشيخ محمد زهران بالذكر)

أبدأ بكلام وجيز على هذه المنكرات فأبين أنه ليس فيها شيء مما عبر عنه الاستاذ الشيخ محمد زهران بصوادم الحجج القاطعة ، التي لجأ إليّ لاستئصال شأفتها ببواهر البراهين الساطعة ، ثم أعود إلى مسألة أحاديث المعجزات وهي أهم وأكبر فأقول

(١) قصة أبرهة وتكلمه في صفحة ٦٤

لم أر في هذه الصفحة شيئاً يصح أن يقال إنه من الانتقاد ، ولا من صوادم البراهين القاطعة : ولا مما يمس أصول الاسلام ولا فروعه . وخلاصة مافيها ان أبرهة أجمع أمره على هدم البيت الحرام وان عبد المطلب ومن معه دعوا وشفعوا آلهتهم وصبروا وخلت مكة منهم ، وكان وباء الجدري قد تفشى في جيش أبرهة وفتك بهم فتكا ذريعا لم يعهد من قبل قط وأصابت العدوى أبرهة ملكهم فأمر قومه بالعودة إلى اليمن وبلغ هو صنعاء وقد تناثر جسمه من المرض حتى لحق بمن مات من جيشه . قال : « وبذلك أرخ أهل مكة بعام الفيل هذا وقدسه القرآن بذكره » وذكر السورة بنصها ولم يقل في تفسيرها شيئاً ، فمهما يقل فيه فهو لايرد عليه

(٢) أسطورة شق الصدر : هكذا عنوانه ص ٧٢

أخطأ الدكتور محمد حسين هيكل أن نقل خبر هذه المسألة عن مؤلف أصل كتابه بالفرنسية وسيرة ابن هشام واعتمد على نقدها له ، واستشكال وقوع ذلك في بني سعد إذ كان ﷺ في السنة الثالثة وكان المخبر حليمة الخبر أخوه ابنها الرضيع النبي ﷺ وهو في سنه

وقد أخرج هذا الحديث عنها ابن إسحاق وغيره من طريق عبدالله بن جعفر ابن أبي طالب وهو لم يسمع من حليمة وإنما قال الذي أخرجوه عنه أنه قال حدثت عن حليمة ولم يذكر من حدثه . وقد أخرجه ابن اسحاق من طريق نوح بن أبي مريم وهو ممن ثبت عنهم الكذب ووضع الحديث . وعبدالله بن جعفر ولد في الحبشة في عهد الهجرة اليها

وأخرج البيهقي وابن عساكر حديثاً آخر عن حليمة فيه هذه المسألة مطولة مخالفة للرواية الاولى في سياقها وفي موضع وقوعها وهي التي يذكرونها في بعض قصص المولد . وهو من طريق محمد بن زكريا الغلابي وقد قال الدارقطني مخرجه عنه : انه كان يضع الحديث وصرح غيره بكذبه أيضاً فمن اطلع على هذه الروايات في تعارضها فلا يتردد في الطعن عليها مع استشكال متنها وكونه غير معقول

ولكن مسلماً أخرج عن أنس ما يقوي معنى رواية عبدالله بن جعفر من طريق شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عنه وشيبان كان يهم أي يخطىء وحماد هذا من أثبت من روى عن ثابت ولكن ثابتاً تركه البخاري وقد تغير بعد كبر سنه وساء حفظه، ويقال إن مسلماً تحرى من رواية حماد عن ثابت ما سمعه منه قبل تغيره . على أن أنساً نفسه كان بعد كبر سنه ينسى بعض ما حدث به وهو لم يرفع حديثه هذا الى النبي ﷺ

وأخرج أيضاً عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر قال سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري بالنبي ﷺ من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه — وهو نائم بالمسجد الحرام — وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني وقدم فيه وأخر وزاد ونقص ورواية شريك أخرجها البخاري في كتاب التوحيد برمتها وفيها ان قصة الاسراء والمعراج في جملتها ومنها شق الصدر كانت رؤيا منامية وقد غلطوا شريكاً فيها من جهات خالف فيها من هو أوثق منه

وأقوى الروايات في شق الصدر حديث الاسراء والمعراج الطويل الذي أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة — وليس لمالك غيره — وفيه ان النبي ﷺ حدث عن ليلة أسري به قال «بينا أنا في الحطيم - وربما قال في الحجر - مضطجعا إذ أتاني آت فقد - قال وسمعته يقول فشق - ما بين هذه وهذه أي وأشار الى ثغرة نحره وآخر بطنه - فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد» الخ وفي رواية شريك بن أبي نمر انه جاءه ثلاثة نفر وهو نائم وهم الذين تعاونوا على عملية شق الصدر وأشرنا اليها آنفا

فأنى للدكتور هيكل أن يحيط بهذه الروايات وأسانيدها واختلاف متونها الدال على روايتها بالمعنى في موضوع من الخوارق - ويحكم فيها بين ماحكاه عن المستشرقين وغيرهم حكما معقولا؟ ولقد كنت سئلت عنها فلخصت الروايات بأوسع مما هنا واستظهرت من مجموعها أنه تمثيل لتطهير قلب النبي ﷺ وحفظ نفسه من كل ما لا يليق به من وسوسة الشيطان والشهوات والاهواء كما تمثل له كثير من المعاني والحقائق في تلك الليلة وفي رؤاه الصادقة بصور مناسبة لمعانيها، ولعالم المثال في الكشف الروحاني شأن عظيم عند أهله . ومن المعلوم بالضرورة أن الايمان والحكمة اللذين حشيا في قلبه (ص) ليسا من المواد الجسمانية التي توضع في الطست ثم تحشى في القلب . ومن شاء التفصيل في المسألة فليراجع الفتوى ١٢ من المجلد ١٩ ص ٥٢٩ - ٥٣٧ ودونها ٨ ج ٤ م ٣٣

وجملة القول أن الدكتور محمد حسين هيكل لم يطلع على حديث ينتقد صحته ويعبر عنه بأنه أسطورة، فان كان مقصراً في هذا الاطلاع فليس بعليم بأكثر مما يلام اكثر علماء هذا العصر وبما تلام عليه مجلة الازهر (نور الاسلام) بما تذكره كثيراً من الاحاديث الضعيفة، وكذا الموضوعة أحيانا . فلا يصح أن يجعل طعنا في دينه

(٣) مسألة بدء الوحي ص ٩٥

لا أدري ما الذي أنكره الأستاذ زهران من كلام الدكتور هيكل في هذه المسألة وأما أنا فإنني أنكرت عليه متابعته فيها لأميل درمنغام مؤلف الأصل بما يستدل به المادّيون على دعوى الوحي النفسي الذي بسطته ورددت عليه في كتاب الوحي المحمدي بالتفصيل كما أشرت إليه في مقدمة المقالة الأولى وسأعود إليه ، فإنني رأيت المنكرين على كتاب هيكل والمعجبين به سواء في عدم فهم هذه المسألة المهمة وهي أساس الدين ، ولهذا أقول إنه يجوز أن يكون مثلهم لم يفطن لكون تلك المسائل المشرشبهات يستدل بها الماديون على أن ذلك الوحي ذكاء نفسي وعقلي استعد له محمد ﷺ بما زعموه من الروايات الباطلة والآراء المخترعة التي فندناها في كتاب الوحي المحمدي تفنيداً

وأنكرت عليهما مع العلم بعدم الاعتماد على رواية سيرة ابن هشام في مسألة بدء الوحي وما صوروا به حرجيانهم من تخيل الشعري الذي تعارض بعضه الروايات ، ولا شك في حسن نية هيكل فيهم ومراعاته للأدب الواجب ، فإن كان الأستاذ زهران ينكر شيئاً كتبه بعينه فعليه أن يكتبه لنا ، لا أن يكلفنا قراءة الكتاب كله والرد على كل ما أنكره هو منه لظنه أن رأينا فيه كرأيه ولكننا أقدر على الرد عليه «بروق الكافة ، ويخلب ألباب الخاصة والعامة» كما قال، ورب شيء أنكره أنا من هذه السير لا ينكره الأستاذ زهران، وقد ينكر إنكاري إن لم يقف على دليلي مفصلا

إنني يا أخي أنكر كل ما رواه ابن إسحق وما تبعه به ابن هشام مخالفاً لرواية الصحيحين في بدء الوحي حتى رواية عبيد بن عمير التي قال شيخنا الأكبر في الحديث (الحافظ ابن حجر) إنه يمكن الجمع بينها وبين حديث البخاري في أول صحيحه . وما أظن أنك أنت ولا أمثالك من المبالغين في الإنكار على كتاب (حياة محمد) تنكرون مثلي رواية رؤية النبي ﷺ ملك الوحي في المنام وتلقيه منه أول سورة العلق مكتوبة في صحيفة أقرأه إياها، وهي مرسلة لا ندري لعل الساقط من سندها

أحد ونادقة اليهود ، وأنكر كذلك جميع الروايات التي في كتب السير ودلائل النبوة في أنه ﷺ كان يرى ويسمع من الإرهاصات ما اعتقد به أنه سيكون نبي هذه الأمة فتعلق به رجاؤه ، وأنا أعهد أن أمثالكم يطعن على من ينكرها أشد الطعن إلا من طريق علمي كجرح الرواة أو معارضة المتون بمخالفة القرآن مطلقاً والصحاح منها للصحاح كافعلت في كتاب الوحي المحمدي بما تلقاه كل قارئيه بالقبول

(٤) مانسبه الى السيدة خديجة ص ١٠٠

يعني الاستاذ زهران بهذه المسألة قول الدكتور هيكل إن خديجة قالت للنبي ﷺ عند ما فتر الوحي « ما أرى ربك الا قد قلاك » أي ابغضك . وقد تابع بهذا درمنغام وهما لم يخترعاه اختراعا وكان من شأن المنكر عليهما ان يعلم ان ابن جرير رواه موصلا من طريقين قيل ان رواتهما ثقات ، ولكنهما معارضان بما رواه الشيخان عن جندب قال اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت له يا محمد ما أرى شيطانك الا قد تركك ، فأنزل الله (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) اه

وأقول إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب عدوته ﷺ وما قيل في الجمع بينهما من أن خديجة قالت له ذلك توجعا وأم جميل قالته شماتة فهو مردود وكان يجب على هيكل ألا يأخذ كلام درمنغام قضية مسلمة ولو بحث وراجع لعرف الصحيح وعلم ان هذه الفترة القصيرة في الوحي ليست هي التي استوحش لها النبي ﷺ وكبر عليه الأمر ، بل تلك الفترة هي التي كانت بين بدء الوحي في حراء وبين الامر بالتبليغ وهي ثلاث سنين كما بينته في كتاب الوحي المحمدي وكان ينبغي للدكتور هيكل ان يتأمله ويعتمد عليه فهو لباب التحقيق

بل هذه الفترة مشهورة في كتب الحديث وكتب السير لا ينبغي لمن يجهلها أن يكتب مصنفا في حياته ﷺ يدعي أنه يتحرى فيه الحقائق فاذا عمل بالكتب التي طالعها لأجله

(٥) ما قاله في الاسراء والمعراج ص ١٥٣

أجمل الاستاذ زهران إنكاره على ما كتبه الدكتور في هذه المسألة وكلفني أن أبين ما أنكره منها وأثبت ما أعرفه ، وهو إرهاق يتقاضاني أن أصنف كتابا أو رسالة طويلة فيها ، وقد سبق لي أن ارتجلت محاضرة فيها استغرقت ساعتين ونيفا في جمعية مكارم الاخلاق اذ كانت في قاعة دار السادات

الدكتور يثبت الاسراء والمعراج وينقل فيهما ما هو مشهور بين الناس من الاختلاف بين العلماء هل كانا في النوم أو اليقظة ، وبالروح والجسد أم بالروح فقط ، وينفرد بتعليل القصة بأنها من مشاهد وحدة الوجود الخيالية ، ويصف هذه الوحدة بغير ما يصفها به أهلها من الصوفية الغلاة الذين يعرفون بصوفية الحقائق ، لانه موضوع ليس من علمه ، كما أن الجمع بين صحاح الروايات وضعافها ومنكراتها واختلاف متونها وتعارضها في المعراج ليس من شأنه بالأولى وقد أشرت إلى بعضها آنفا في الكلام على حديث شق الصدر والجمع بينه وبين قول من قال بتعدده، وهو لا يعقل

ومما أخطأ فيه كما نرى ما قاله عن موضوع خيال وحدة الوجود في وصف المعراج وقد خلط فيه بين الروايات الصحاح ولم يميز بين صحيحها ومنكرها ، ووصفها وصفا شعريا خلاب الدكتور ببلاغته الفرنسية فعرج هو من أفقه إلى أفق أبعد منه في التخييل الشعري وهو أفق وحدة الوجود التي يعجز صوفية الهند ومقلدتهم من الافرنج أن يبلغوا فيها شأو محيي الدين بن عربي في نثره وعمر بن الفارض في شعره وقد قال الدكتور فيها بما لا يعقله من الجمع بين الازل والابد

مسألة وحدة الوجود عقيدة هندية قديمة لا تتفق هي وعقيدة الاسلام في كون الخالق تعالى فوق جميع خلقه وبائن منهم ، وخلاصتها أن وجوده تعالى وتقدس عين وجودها وهي مظاهر له كمظاهر الماء من جمد ومائع وبخار و غاز كما قال عبد الكريم الجيلي :

وما الخلق في التمثيل إلا كثلجة وأنت بها الماء الذي هو نابع

وأقرب مما ذهب اليه الدكتور في تصوير مسألة الاسراء والمعراج أو تقريبها الى الاذهان ، يوافق العلوم العصرية هو ما ثبت عند الناس باستحضار الارواح من تمثل أرواح الموتى المجردة بصور جسدية من الاثير تتكاثف أحيانا حتى تستمده

من مادة الكون أو من جسم الوسيط حتى يمكن تصويرها بالآلة العاكسة للنور ، وقد قرأنا في كتاب (المذهب الروحاني) وغيره من الكتب والصحف شواهد على ذلك ، وأصل هذا معروف عند أهل الدين بما ثبت من تمثل أرواح الملائكة والشياطين بصور البشر وغيرهم وأمثلته كثيرة في كتب أهل الكتاب المقدسة وفي القرآن العظيم والاحاديث الصحيحة ، ويحكون في كتب الصوفية أن بعض الروحانيين منهم يتجردون من أجسادهم الكثيفة ويتمكنون من تحويلها إلى أجساد أثيرية لطيفة أحيانا تقطع المسافات البعيدة في طرفة عين وتنفذ من الاجسام الكثيفة ، فالمسألة معروفة مسلمة عند غير الماديين من المليين وغيرهم من الروحانيين

فعلى هذا يمكن أن يقال إن روح النبي ﷺ أعطيت من القوة في تلك الليلة ما كانت به كقوة روح جبريل الذي كان يتمثل له ﷺ بصورة دحية الكلبي وغيره، وتمثل للسيدة مريم عليها السلام بشرا سويا، وفي هذه الحالة تتصرف الروح بجسدها الاثيري العجيب فتحمله من مكة الى بيت المقدس ، ومنه إلى حيث شاء الله من السموات العلى إلى سدرة المنتهى ، وقد بينت هذا من قبل في المنار وفي محاضرتي الطويلة التي أشرت اليها آنفا وقلت إنه مذهب الصوفية الموافق لقول جمهور المحدثين إن الاسراء والمعراج كانا بالروح والجسد

ولعل هذا ما أشار اليه الاستاذ الاكبر المراغي في التعريف بالكتاب بقوله (وعلم استحضار الارواح فسر للناس شيئا كثيرا مما كانوا فيه يختلفون، وأعان على فهم تجرد الروح وامكان انفصالها وفهم ما تستطيعه من السرعة في طي الابعاد وقد انتفع الدكتور بشيء من هذا في تقريب قصة الاسراء فأتى بشيء طريف) اه

اشتبه بعض قراء هذه العبارة الجملة الوجيزة في فهمها فظنوا أن الاستاذ وافق المؤلف على القول بأن الاسراء كان بالروح منفصلة من الجسم، على مسألة وحدة الوجود ولكن قوله (فأتى بشيء طريف) لايدل على فهمهم هذا ولذلك لم يقل «بشيء طريف فيه» بل هو يشير الى ما قلته»

وجملة القول أن الدكتور هيكلا نقل بعض أقوال علماء المسلمين في مسألة الاسراء والمعراج ونقول دين مقام من غير تمحيص ولا تحقيق كما فعل بعض أهل

السير وغيرهم من المسلمين ، وزاد عليها مسألة وحدة الوجود بعبارة مبهمة تدل على أنه لا يعتقد أنها مخالفة لنصوص الكتاب والسنة لخفائها المعروف فلا يباح للمنكر بها عليه الطعن في دينه، ولا يصح للمعجبين به أن يقولوا إنه محقق لروايات السيرة

(٦) ماعقب به معجزة الغار ص ١٧٧

يعني الاستاذ الناقد المنكر بهذه المعجزة ما نقله الدكتور هيكل عن اميل درمنغم عن بعض كتب السير كالسيرة الحلبية من أن النبي ﷺ حين دخل مع صاحبه الغار وجاء المشركون يبحثون عنه وجدوا شجرة تدلت فروعها إلى فوهته وبيتا من العنكبوت يستر من فيه وحمامتين باضتا عند بابه . وذكر أن وجه المعجزة في هذه الاشياء انها لم تكن موجودة وإنما وجدت وقتئذ وأن درمنغم قال: «هذه الامور الثلاثة هي وحدها المعجزة التي قص التاريخ الاسلامي الجد (كذا) وهي أعاجيب ثلاث لها كل يوم في أرض الله نظائر » .

(أقول) حديث هذه الثلاث أخرجه ابن سعد وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم عن أبي مصعب المكي قال أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة ابن شعبة فسمعتهم يتحدثون ان النبي ﷺ ليلة الغار أمر الله الشجرة فنبتت في وجه النبي ﷺ فسترته وأمر الله العنكبوت فنسجت في وجه النبي ﷺ فسترته ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا في فم الغار ، واقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بعصيهم وهراويهم وسيوفهم الخ

قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان بعد ذكر حديث أبي مصعب هذا: قال العقيلي مجهول ذكره في ترجمة عون بن عمرو. وذكر الحافظ في ترجمة عون هذا انه منكر الحديث مجهول وذكر حديثه هذا عن أبي مصعب وقال إنه لا يعرف

فهذه المعجزات لم يصح بها الخبر بل انفرد بروايته مجهول منكر الحديث عن رجل لم يعرف قط ، فالظاهر انه هو الذي وضعه عليه ، ولو كان له أصل لأمكن أن يعلل من ذا الذي حقق أن هذه الثلاث وجدت عند دخوله ﷺ في الغار وأنها لم تكن من قبل ، وكيف كان عبد الله بن أبي بكر وراعي غنمه مولاه عامر بن فهيرة يدخلان عليهما في كل ليلة ؟ ولم لم يحدث بها أحدا ولا حدث بها من أكرمه الله بها

وهو النبي ﷺ وكذا صاحبه « رض » حتى حدث بها أبو مصعب المجهول الذي أعيا رجال الجرح والتعديل أن يعرفوه أو يعرفوا عنه شيئًا ، ولم يحدث بها عنه إلا عون ابن عمرو المنكر الحديث ؟ وأي حاجة إليها في حفظ من كفل الله حفظه وعبر عن ذلك بأنه تعالى معه ومع صاحبه ؟ وهنا يظهر الفرق بين شعور الاستاذ رهران والدكتور هيكل وأمثالها : الفريق الأول يرتاح إلى روايات خوارق العادات مطلقًا ويرون أنها أعظم الحجج على إثبات النبوة فلا يعنون بتحقيق رواياتها ، والآخرون ينفرون منها لكثرتها عن جميع الملل ولا يرون فيها حجة قاطعة على النبوة كالآيات العلمية والعقلية وأعظمها القرآن ، ولذلك يميلون إلى تكذيب روايات تلك الخوارق ومتنبين تحقيق الحق في ذلك (للنقد بقية)

وفيات الاعيان

(شاعر العراق الشيخ عبد المحسن الكاظمي)

فاجأنا في ضحوة يوم شديد الحر من هذا الشهر المحرم (سنة ١٣٥٤ ـ مارس سنة ١٩٣٥) نبأ وفاة شاعر العرب المطبوع وعلم الفصاحة المرفوع الشيخ عبد المحسن الكاظمي بعد مقاساة أمراض طال أمدها عدة سنين صبر عليها صبر الكرام ، ويحزنني أنه لم يتح لي تشييع جنازته ، وقد قمت بكل ما استطعت من حقوق مودته (المدية والادبية) في أكثر من ثلث قرن حتى اني عرضت نفسي لمرض طويل كاد يكون مزمنًا بزيارتي له ليلا وأنا مصاب بنزلة صدرية شديدة ، وكان يزورني في وسط المهد بيننا في يوم الجمعة من كل أسبوع وقد يزيد عليها لأسباب عارضة واني أنشر هنا ما كتبته في شأنه بعد تعارفنا بمصر بأيام قليلة وهو ما تراه في ص ٣٢٨ من مجلد المنار الثالث تاريخ ربيع الاول سنة ١٣١٨ يوليو سنة ١٩٠٠ بعنوان (القديم في الحديث ، والاول في الآخر) وهذا نصه :

ذهبت بلاغة الشعر العربي بذهاب دول العرب حتى صار القرن يمضي كله ولا يظهر فيه شاعر عربي الاسلوب بليغ الكلام ، وحتى صرنا نعد وجود مثل

سعادة محمود سامي باشا (البارودي) من قبيل مايسميه الحكماء بالرجعة كأن السليقة العربية رجعت اليه بالوراثة لاحد أجداده الاولين من غير عناء في كسب ملكتها ،
والظاهر أن بلاد العراق لا تزال أقرب الى السليقة العربية من أهل هذه البلاد وان الناشئين فيها أكثر منهم في غيرها . ولقد وافى هذه البلاد من أشهر رجال فاضل جدير بلقب (الاديب) وقل الجدير به في هذا العصر ألا وهو الشيخ أبو المكارم عبد المحسن الكاظمي (نسبة الى الكاظمية بلدة في ضواحي بغداد) لقيناه ملقيا الادب الصحيح والاخلاق الحسنة من الشاعر المفلق المهذب النطاق، الذي ناهز المقدمين ، وخاطر المفرمين ، ومن السجايا الفاضلة الظاهرة فيه الاباء وعزة النفس حتى انك لا تشعر في أول عهدك به بما عنده من لطف المعاشرة ورقة الطبع ولين العريكة . قال صاحب السعادة سماعيل باشا صبري وكيل الحقانية وأحد أركان الادب في مصر : انني عندما لقيته أول مرة ظننت أنه لا تطيب معاشرته فلما خبرته علمت أنه لا أطيب منه رقة طبع وما أجدره بقول شاعرنا احمد بن مفلح المشهور بابن منير الطرابلسي

إباء فارس في لين الشام مع الظرف العراقي والمنطق الحجازي

أما شعره فعلى الطريقة العراقية المهذبة القديمة — طريقة الشريف (الرضي) ومهيار (الديلمي) وأما انشاده فهو يناسب شعره في التأثير الذي هو المقصود الاهم من بلاغة القول اه

ونشرت بعد هذا قسما من قصيدته الميمية وهي أول ما سمعناه من انشاد شعره ونشرت القسم الآخر منها في جزء آخر ، ولعمري إن إنشاده للشعر لا يبلغ من نظامه في إثارة الشعور بما شاء من شجو وشجن ، وحنين إلى سكن ووطن ، وشوق إلى لقاء حبيب ، وحزن على فراق عشيق أو صديق ، وإن أنس فلن أنسى إنشاده إياي قول الشاعر :

وارحمتا للغريب في البلد النازح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده وما انتفعا

ومثل قال ابن النبيه في بائيته :

وما المدامة بالألباب أفتك من فصاحة البدو في ألفاظ تركي

فإن لنا أن نقول : ما لعبت المدامة بالعقول ، ولا عزف الفارابي بالقانون، بما أضحك الثغور وأثار الشجون ، وأجرى الشئون وران على العيون ، ولا سمي جميل بثينة أمام دارها ، ولا كلثوم القاضي بسورة نابغة أو قارئ ، بأعظم سلطانا على القلوب من إنشاد الكاظمي لهذين البيتين بصوته الرخيم ولهجته العراقية وتقطيعه للبيت بغير أوزانه الشعرية ، كوقوفه على كلمة القريب ، والنازح ، والعيش ، فإني لأتذكر الآن خفقات قلبي لسماعهما ، وأجد الذكرى تعيدها سيرتها الأولى ، ولقد كانت كلمة بثينة أشجى كلمة سمعتها من كلام العشق ، ولا بأس بذكرها هنا

لما شعر جميل العذري بدنو أجله في مصر عهد إلى رجل أن ينعاه إلى بثينة في حي أهلها وأعطاه حلته آية لها ، فذهب وأنشد هناك

صرخ النعي وما كنى بجميل وثوى بمصر ثواء غير قفول

خرجت حاسرة وقالت يا هذا إن كنت كاذبا فقد فضحتني، وإن كنت صادقا فقد قتلتني !! وأخرج لها حلته فأنشدت :

وإن سلوي عن جميل لساعة من الدهر لا حانت ولا حان حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر إذا مت بأساء الحياة ولينها

هكذا كان الكاظمي يخلب ألبابنا بإنشاده العراقي الشجي وكل أدباء العراق يخلبون الألباب بضروب الإنشاد ، وإن كان الأشجى من سمعنا منهم ، ولقد حببه الإنشاد والشعر معا ، ثم اتصل بشيخنا الأستاذ الإمام وحضر عدة دروسه المؤثرة وكان بالمدائح صنيعه ، ومشتاقا لتنويهه بالإصلاح وإمامه ، وقد ذكرت في تاريخ الأستاذ الإمام شيئا مما كان من عطف الإمام عليه ومواساته له ، ومما لم أذكره أنه كان له منه راتب شهري قدره عشرة جنيهات ما عدا الهدايا ، وكان يكره ما عرفه عليه من كثرة ... وكان يعتذر له ... ثم علم أنه كان ... إذ سعى لصاحب المؤيد عند سموه براتب من الأوقاف

اني كنت صدقت الكاظمي زعمه أن شدة الحزن والاسى على الامام أخرست لسانه ، وحيرت وجدانه ، وأطاشت جنانه ، فأمسى عاجزا عن رثائه لا يستطيع منه شيئا . وظللت سنين مصدقا له ، وأرى من حق الوفاء للاستاذ علي ترو والوفاء له ، على أنه حدثني فيما كان يقصه علي من سيرته الشخصية ان الخطوب ليس لها على نفسه سلطان ، وان الحزن ليس له في شجون قلبه ولا في شئون عينيه مكان ، وانه كاد هجومها عليه يغلبه على جلده مرة أو مرتين ففطن لذلك فكان لارادته الغلب والرجحان ، فكان عصي الدمع شيمته الصبر ، ليس للحزن عليه نهي ولا أمر

ولقد كان يقول لي انه لم يجد بعد الاستاذ الامام من أخلص له الوفاء مثلي ، ويظهر لي انه على رأيي ومذهبي فيما أدعو اليه وأحيا لأجله من الاصلاح الاسلامي والوحدة العربية ، وكان ينشدني بعض قصائده في مدح من يرجو برهم ويقف لي عند ما تتضمنه من الاشارة إلى ما أحب من المصلحة العامة ، في تضاعيف ما أكره من المدائح الشخصية ، ومنه ما نظمه في المسألة العربية ورجالها ، ومنه ما يخصني بزعمه دون غيري ، ولم أكن لأحفل بالتصريح بشيء يخصني فكيف أحفل بالتلويح والتعريض الذي لا يكاد يفهم المراد منه أحد؟ ولكن خطر ببالي كثيرا ما لم أذكره له ولا أشرت إليه من تقصيره في رثاء شقيقي اللوذعي الاحوذي السيد حسين الشاعر الاديب الخطيب وقد كان عشقه الكاظمي غراما ،ووده له لزاما ، وكان وكيلي في إدارة المنار مدة غيبتي في الاستانة عاما كاملا لم يكد يفارقه فيه يوما ، ثم عاد الى سورية فقتل بيد مجرم أثيم ، فكان من إكبار خطبه عندي ان قلت في تأبينه انه ليعز علي أن أرثيه وكنت أرجو أن يرثيني ، وكبر المصاب فيه أهل الفضل والادب في جميع البلاد العربية ، وعقدوا له في بيروت حفلة رثاء وتأبين تبارى فيها أدباء الطوائف الدينية بما كان أقوى مظهر لرابطة الادب الجامعة ، فكانت حفلة نادرة في ذلك الوقت ، ولكن كان صديقي وصديقه أبخل بشعره عليه منه بدمعه ، وهو الغني الملي بالشعر ، الفقير الشحيح بالدمع ، وانما يجود بالشعر حيث يرجى به النوال الجزل

لقي الملك فيصلا في مصر فرأى من لطفه وتواضعه وتكريمه له ما أحدث

له أملاً بأن يحيا بجوده حياة جديدة من الإتراف والسعة أقلها أن يكون له راتب شهري كبير وهو في مصر ، أو ينقل الى منصب كبير ، في بغداد ، فمدحه كما مدح أخاه الامير عبدالله وبيتهم الشريف بقصائد غر ، كان ينشدنيها كلها أو بعضها قبل ارسالها ، ويحاول إرضائي بأن التنكر لسياستهم البريطانية بما فيها من التمويه بالاصلاح والوحدة العربية ، حتى اذا ما خاب أمله فيهم ، وعلا نجم ابن سعود على الحجاز وحدثناه من الرجاء في جوده وسخائه ما يئس من مثله منهم ، طفق يمدح هذا وآله ، ويعرض بل يصرح بهجو أولئك ، ومن ذلك قصيدة في الفرق بين الفيصلين فيصل بن عبدالعزيز وفيصل بن الحسين ، وكان يدعي أنه لم يكن له من باعث على هذا وذاك إلا ما يهمنا جميعا من مصلحة العرب والاسلام

كذلك كان يستشيرني في القصائد التي كان ينظمها في القضية العربية التي يقيمها حزب الاتحاد السوري فالجمعية تمهيداً لمؤتمر السوري الفلسطيني ويكل إلي السعي لما يرجوه من الجائزة عليها من الجمعية فيتيسر له كما أضاف الله وهي من غرر قصائده

وكثيراً ما كان يزيد في هذه القصائد التي نظمها ولم يكتبها ، وكثيراً ما كان يرتجل غيرها ، فقد ثبت عندنا أنه أوتي من ملكة الارتجال ما يسامي به فحول العرب من الجاهليين والمخضرمين والمولدين ، وهو يعد من فصحائهم لا من بلغائهم ، فشعره خال في لغته وأسلوبه ، دون فلسفته وتأثيره الروحي

وما كان لي أن أصمم بإرجاعه عما يبغيه من التكسب بشعره وهو بضاعته الرائجة ، فكنت أحمد من قصائده ما فيها من الآراء العامة ، وأقتصد في الانكار على المبالغة الشعرية في المدح فيوافقني على ما أقول ، ولا أدري ما يكتبه بعد ذلك ويرسله ، وما يثبته في ديوانه الذي يدخره لمستقبله وورثته ، فقد كان يحفظ كل ما ينظمه وينشدني وينشد غيري من حفظه ، وقد ينقح ما ينتقده عليه السامع في المجلس ، ويزيد فيه ما شاء وينقص منه ، وكان يرجو أن يبذل له أحد الملوك أو الامراء أو الكبراء ما يكفي لوفاء ما يذكر من دينه وطبع ديوانه ، ومن لم يتح له

ما يرجو وكل أمر طبعه من بعده الى أبر الاوفياء له الذي اختار أن يجعله وصيا على كريمته الرباب ، واياي كان يعني

هذه خلاصة ما يقال في شعره وأدبه ومودته وكسبه ، ولقد علمت انه كان له كسب نساني حتى من كتابة التمائم للحب والبغض ، وكان أمين سره في هذا العمل صديقه المرحوم توفيق أفندي الرافعي ، وأول من أفشاه لنا امرأته الاولى التي عشق أختها وتزوجها ، حملت الى أهل بيتنا بعض هذه التمائم فأبيت أن أنظر فيها ، وحدثتهن عن اسرافه في النفقة ، وما كان يوهمني (قبل بنته الرباب) من أن له عيالا ينفق عليهم ، وقد سمعت منه ورأيت مايعد من عجائب اسرافه ، فلقد كان يشتري ثمر المنجا الجيدة بالعشرات أو مئة بعد مئة وهي اغلا الثمار ثمنا ، وكان دائما يشكو الحاجة او الضرورة ، ويطرق ابواب الكبراء او السعة والصيفة ، وقد لجأ أخيراً الى المرحوم سعد باشا زغلول بمدحه بالقصائد الفياضة التي ذكرتها الاستاذ الامام أول مرة بعد وفاته ، ثم لجأ الى زعيم الوفد من بعده ، وظهر في هذه الاثناء بشعر بنته الرباب ، وقد شبت على استبدال البرنيطة بالحجاب

وجملة القول فيه انه كان شاعر العرب المرتجل المفلق كما كان قال قبل اختيار هذا اللقب لنفسه

لتخل القوافي ميادينها فقد عصف الشاعر المفلق

وكانت حياته الشخصية في داره ومع اصدقائه وزواره مفاكهات أدبية أكثرها في شعره وأغراضه منه ، ثم لم يكن يتحدث في السنين الاخيرة الا عن مصائبه وامراضه وخلته ، حتى صار مملولا بالطبع . نذكر هذا للعبرة والموعظة ، ونسأل الله تعالى لنا وله العفو والمغفرة ، والرحمة الواسعة

ويسرنا جد السرور عناية الحكومة العراقية باكمال تربية كريمته ، وعناية أدبائها وادباء فلسطين وسورية بتأبينه ، وهمّ بعض أصحابنا باقامة حفلة تأبين له حافلة ، ثم أرجؤها إلى انتهاء هجير الصيف ، وما كان لمصر أن تهضم حق أدبه وما كان ظهوره واشتهاره الا فيها ،

﴿ باب مختارات الصحف ﴾

تفاقم شر الطلاق في أمريكا

لمراسل الأهرام في أمريكا

نشرت في إحدى رسائلي الماضية أن القاضي بن لندسي في مدينة لوس انجلوس بولاية كاليفورنيا الملقب قاضي الطلاق لتساهله في تسهيل سبله على الطالبين ولكثرة عدد الذين أعتقهم من ربقة الزواج كما يعتق السجان حال انتهاء المدة المحكوم عليهم بها ، وقد أعلن هذا القاضي اليوم اعتقاداً جديداً أبداه بشكل نبوءة مفادها انمحاق عهد الزواج بهذه البلاد في وقت غير بعيد إذ قال :

« إن الزواج في هذه البلاد صار إلى حالة تدعو إلى الأسف وتحمل على الاكتئاب فإن لم نفتح عيوننا للحقائق ونصرح بها غير متهيبين ونعمل على تغيير ما نعهده من علائق الجنسين نصبح لا حد في الحب والفوضى في الزواج والتطرف في حسبان الطلاق من ضروريات الحياة العائلية شيئاً سهلاً وواجباً وإن كان مخالفاً لما قررته الأديان ووجهته قوانين الهيئة الاجتماعية

« فالزواج عندنا قد أصبح ألعوبة أو مهزلة بحيث لا يختلف عن شركة تجارية يعقدها شخصان ويبقيان فيها متعاونين ما بقيت رابحة وما اتفق ذوقاهما ، وينفصلان عند ما يشعران بالخسارة أو بالنفور المتبادل . ولا ريب في أن البواعث الطارئة علينا في هذا الزمان تعمل على تقويض أركان التوازن الأدبي وتشويه آداب المجتمع ، وتمهد السبل للطبيعة البشرية الميالة إلى الشر في طغيانها فتتمادى فيه بلا وازع من الدين ولا رادع من القانون . والقاضي الذي تبدو له هذه المساوئ في القضايا المتعددة لا يرى سوى علاج واحد ناجع وهو أن تستعين الهيئة الاجتماعية بالدين والعلم والتهذيب على استئصال ما طرأ في هذا العصر من التطورات الغريبة العاملة على خراب الحياة الزوجية وفساد أخلاق الناشئة

« وقد يحسبني بعضهم من المفكرين المتوقعين من هذا الباب بالنظر إلى كثرة عدد الذين أعتقتهم من قيود الزواج في محكمتي ، على الرغم مما قال من نسبه إلي

في حل ما عقده الشرع من أشد الناس تمسكا بزي الزواج القديم القائل ببقاء الاثنين جسدا واحدا الى أن يفرقهما الموت ولا يحل هذا الشكل الا العمل بهذه القاعدة، وأعتقد أن أجدادنا كانوا أسعد حالا وأهنأ عيشا من الوجهة الزوجية مما نحن عليه الآن

ومهما كان اعتقادنا بنظرياتهم فان تلك النظريات قد انطوت ومعها الحياة الزوجية القديمة المبنية عليها أو أنها ستطوى الآن بسرعة وحل محلها جنوح(١) لا يعترف بقيود ، خال من كل مسؤولية ومن الحب الحقيقي في تعاقد الجنسين بحيث أصبح الناس يعتقدون أن الزواج قضية موقتة يحافظون عليها ما وفرت لهم الغبطة وضروب الشهوات والمسرات و إذا عدمت هذه الميزات ذهبوا إلى المحامي

ويظن هذا القاضي أن الحالة الاقتصادية في الحياة العصرية التي تزاحم فيها المرأة الرجل في الاعمال على اختلافها والتي جعلت الزواج صعبا أومستحيلا على الشبان من سن ٢٠ الى ٣٠ لقلة دخلهم هي التي سببت هذا التشويش والفوضى في الطلاق أيضا . لان الزوجة التي تفرك(٢) او يحاول زوجها التخلص منها فلا تعارض لانفتاح ابواب العمل امامها بخلاف ما كانت الحال عليه في الماضي

وتنبأ القاضي لندسي من سبع سنوات عن ان عدد المطلقين في السنوات العشر التالية سيضارع عدد الذين يتزوجون وقد مضى من تلك الاعوام سبعة وبقي ثلاثة ومع ذلك فقد تم ما خمنه قبل انتهائها حسبما يقول اه

(المنار) إن سوء عاقبة هذا الفساد أكبر مما يحسب هذا القاضي ويقدر، وإن له اسبابا وعللا كثيرة ، وان علة العلل كلها انحلال العقيدة الدينية وما تعقبه مع الحرية الواسعة من اباحة الشهوات ، وقد كان الدين عندهم نظاما اجتماعيا أدبيا تكفله التربية والتعليم وتحميه القوانين فضعفت الكفالة والحماية بحرية التعليم العالي للنساء والرجال معا فصار من المتعذر أن يدين هؤلاء بالنصرانية المبنية على التسليم بما يقال لهم من غير برهان معقول مقنع ، وهذا الدين لايجدونه الا بالاسلام فهو العلاج الوحيد لجميع مفاسد الحضارة الغربية كما فصلنا في كتاب الوحي المحمدي،

(١) كذا والجنوح الميل ومنه ميل السفينة الى حيث ترتطم بوحل فتقف

(٢) فركت المرأة ابغضت زوجها فهي فارك وفروك

﴿ باب الرسائل ﴾

﴿ العقبة من الحجاز في عهد الدولة العثمانية ﴾

حضرة الأستاذ العلامة حجة الإسلام مهدي العصر، وقائد كتيبة المحققين الذي كتب له النصر، السيد رشيد رضا أطال الله بقاءه ونفع به

قرأت في الجزء المؤرخ في ٣ المحرم ١٣٥٤ من المنار فصلا وافياً عن العقبة وفيه كلام نقلتموه عن أمين أفندي سعيد معناه أن العقبة أدخلت سنة ١٩٠٦ ضمن الحدود العثمانية وألحقت بلواء الكرك (شرقي الأردن اليوم) وصارت جزءاً من أجزائه

والذي أعرفه أنا أن معان هي التي ألحقت في وقت من الأوقات بلواء الكرك، وهذا هو أصل المغالطة، والإنكليز يريدون أن يجعلوا معان من البلاد التي كانت الدولة العثمانية ألحقتها بلواء الكرك حتى يقولوا إنهم لم يغيروا شيئاً من الوضع القديم بل أبقوا العقبة تابعة للجهة التي كانت تابعة لها من قبل. والحقيقة أنه لما تشكل لواء الكرك ألحقوا به قضية معان ونواحيها ما عدا العقبة، وكان ذلك من الدولة قصداً وعمداً حتى لا تجعل العقبة تخرج من أرض الحجاز نظراً لاستثناء الحجاز من أمور كثيرة كان متفقاً عليها بين الدولة والدول الأجنبية ومن جملتها عدم جواز تملك الأجانب. وقد كنت مرة في دمشق في أيام ولاية ناظم باشا وعلمت من المرحوم محمد فوزي باشا العظم وكان هو عمدة مجلس الإدارة أن ولاية سورية راجعت الباب العالي في أن العقبة باتصالها بأرض معان وبكونها ميناء لمعان وبلاد الشراة يجب إلحاقها بمتصرفية الكرك تسهيلا للأشغال.

وأجاب الباب العالي ولاية سورية قائلا: إن هذه الملاحظة لا تخفى علينا ولكن هناك ملاحظات سياسية أهم منها وهي أنه إذا ألحقت العقبة بلواء الكرك صارت من ولاية سورية ودخلت تحت المعاهدات التي بين الدولة والدول الأجنبية فصار يجوز للأجانب أن يتملكوا فيها بخلاف ما إذا كانت تابعة للحجاز فليس للأجانب

حق أن يتملكوا شيئاً في الحجاز وهو أمر متفق عليه بين الدولة والدول، فبقيت العقبة اذن تابعة للحجاز ولم تتبع الكرك كما طلبت ولاية سورية، فقصدت ان اصحح هذه الرواية التي نقلتموها عن أمين أفندي سعيد والتي لو صحت لما كان محل التعجب من سعي الانكليز بالحاق العقبة بشرقي الاردن لانهم يكونون حينئذ بنوا على اساس قديم . والحال أن هذا الاساس لم يوجد ، وان العقبة كانت ولم تخرج من الحجاز لا أولا ولا اخيرا ووضعها الحاضر لا يستند على شيء قانوني والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؟

جنيف شكيب أرسلان

(المنار) هذا ما يقال من جهة ما يسمى التشكيلات الادارية في الدولة. وأما من الجهة الشرعية الاسلامية فالعقبة وما حولها من الحجاز وبضعة أوسع تقول من جزيرة العرب التي أوصى النبي ﷺ بأن لا يبقى فيها دينان كما بيناه مرارا ، فاحتيال انكلترة للاستيلاء عليها أفظع اعتداء على دين الاسلام

﴿ وزير مسيحي يصف الشريعة الاسلامية ﴾

خطب الاستاذ فارس بك الخوري الوزير السوري الاسبق ومن كبار مسيحيي سوريا في احدى الحفلات التي أقيمت بدمشق لاحياء ذكرى المولد النبوي ومما قاله :

« إن محمداً أعظم عظماء العالم ولم يجد الدهر بعد بمثله، والدين الذي جاء به أوفى الاديان وأتمها وأكملها، وإن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية، ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الذي دعا الناس اليها باسم الله وبأنها متفقة مع العلم مطابقة لارقى النظم والحقائق العلمية

« ان محمداً الذي تحتفلون به وتكرمون ذكراه أعظم عظماء الارض سابقهم ولاحقهم ، فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم ، وأنشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ وجاء لها بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم على أسس تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها» (المقطم)

مأساة أميرة شرقية*

بقلم الاستاذ العلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي نزيل البصرة

(٢)

ونحن مع احترامنا للنبي المكرم عيسى نقول: قد أجاد الاستاذ في تنظيره وتمثيله، ألا يعلم لويس أن شرب الدخان في النارجيلة أو غيرها إنما حدث بعد اكتشاف كولومبوس أميريكا ولم ينتشر الا في الازمنة الاخيرة، بل في هذا الزمان نفسه لو دخلت مجلس أمير من بني تميم أهل اليمامة لم تر فيها نارجيلة فضلا عن الخمر، فهل بلغ به هوان نفسه عليه أن يزعم ان مجالس أمراء ابي بكر وعمر كانت محتوية على الخمر؟ سبحانك هذا بهتان عظيم، فأي رجل من زنوج أفريقية بل قبائل أسكيمو يلقي نظرة إجمالية على التاريخ ويتوهم وجود الخمر في مجالس أمراء الخلفاء. ولم تمض على انتقال النبي الى الرفيق الاعلى الا أيام قلائل ولم يرو لنا التاريخ شرب الخمر في مجالس الامراء الا بعد ذلك بازمان طويلة؟

وليس مقصودي ان اجري، خالداً من الوجهة الدينية أو ادعي له العصمة الواجبة للانبياء، لان الكاتب لم يتصد لهذا الامر الا من الوجهة التاريخية والادبية ولذلك أحصر ردي عليه فيهما فهل يستطيع ان ينقل لنا كلمة واحدة من التواريخ المعتبرة يثبت بها ما افتعله؟ هيهات ذلك.

لقد كنا نظن أن مجلاتنا الادبية لم تصل بعد الى المستوى الاعلى من التحقيق في التاريخ والادب وان كتابنا لا تزال بضاعتهم مزجاة في ذلك، ولكننا بمدار أينا

*) نشرها (كرهام لويس) المستشرق الانكليزي في جريدة المصور الاسبوعي للهند صور فيها الصحابي خالد بن الوليد القائد الحربي الاعظم في فسطاط كمجالس راجات الهند تدار فيه كؤس المدام واصطفت نراجيل دخان التبغ وصور ليلى بنت جويد مزينة بأحدث أزياء نساء أوربة وحلي الشرق تدخل عليه لتشفع لمالك بن نويرة زوجها بزعمه اذ اسره خالد في حرب الردة فعشقها وأمر بقتله وتزوجها. وقد نشرنا الفصل الاول في: ٧ م ٣٤

هذا المقال اغتبطنا أيما اغتباط بمجلاتنا وكتابنا . وكما نظن ان كاتبا شهيراً قد تصدى لكتابة سلسلة مقالات في التاريخ والادب الشرقيين في أشهر المجلات الانكليزية في الهند وعرضها على علماء الشرق والغرب يربأ بنفسه أن يرتكب الخلط والخبط والكذب البحت، ولكن أبى الله الا ان يفضح هذا الاديب الكبير ليعلم مطايا الافرنج ومقلدوهم أن أدباءهم ليسوا معصومين كما يزعمون من الوهم والغلط والجهل والكذب بل ربما فاقوا غيرهم في ذلك، وستري في الرد على مقاله ما يجلو كل شك ويلاشي كل ريب

ومن العجيب أن الاديب كرهام جعل من خالد خالدين، ولرجل واحد صورتين، فالصورة الاولى التي تقدم الكلام عليها تخالف تماما صورة خالد التي نشر تحتها ترجمة خالد بن الوليد وأعماله وسيرته في المجلة نفسها ، في جزء ٨ اكتوبر ١٩٣٣ فخالد الاول مستطيل الوجه مائلا الى الاستدارة ذو لحية مقصوصة قصاً غير بليغ وأما الثاني فان وجهه صغير مخروطي وملامحه مخالفة أشد المخالفة لملامح الاول ، ذو لحية فرنسية مخروطية منهوكة بلا عارضين . فهكذا يكون التخبط والا فلا

﴿ الرد على مقاله ومناقشته الحساب ﴾

(١) زعم الكاتب الكاذب أن ليلى بنت الجودي الغسانية كانت زوجا لمالك ابن نويرة ثم تزوجها خالد بن الوليد ثم تعشقها وغنى بحبها عبد الرحمن بنى ابن أبي بكر الصديق وما زال ملحا في طلابها إلى أن ظفر بها أخيراً ففتن بها حتى أعرض عن نسائه وسراريه وجعلها سيدة البيت ، ثم لم يلبث ان هجرها وفارقها فرجعت الى بيت والدها بدمشق وقضت بقية حياتها فيه . هذا ملخص قصة ليلى بزعمه

أقول وهذا كذب محض وجهل فاضح فان ليلى بنت الجودي لم يتزوج بها مالك بن نويرة وكيف يتزوج بها وهو من أهل اليمامة في قلب جزيرة العرب وكان وثنياً مشركا وليلى بنت الجودي نصرانية وأبوها أحد رؤساء النصرانية في دمشق . وامرأة مالك بن نويرة التي تزوجها خالد بعد قتل زوجها اسمها أم تميم بنت المنهال . لم يتعشقها عبد الرحمن ولم يتغن بحبها ولا تزوجها . وقد التبس الامر على هذا الكاتب المسكين لفقره في الادب الشرقي فزج امرأتين وعجنهما وجعلهما شيئا واحداً لحول في عين بصيرته ، وسيجيء الكلام على ليلى بنت الجودي في آخر الرد ان شاء الله

(٢) زعم أن ليلى زوجة مالك بن نويرة وقعت مع زوجها في أسر خالد وهو كذب أيضا إذ لم يذكر أحد من المؤرخين (فيا نعلم) ان خيل خالد اخذت مع مالك زوجته، والحقيقة كما في الطبري والكامل وابن خلدون وغيرها ان خالد ابن الوليد نزل بالبطاح وبث سراياه فجاءته الخيل بجماعة من بني يربوع منهم مالك بن نويرة فسأل خالد الذين جاءوا بهم أهم مسلمون فيبقيهم أم مرتدون فيقتلهم، فاختلفوا فشهد أبو قتادة ونفر أنهم مسلمون وانهم أذنوا وصلوا معهم، وشهد آخرون انهم غير مسلمين فامر بهم خالد فقتلوا، ولم يذكر أحد انه كانت معهم امرأة مع ان الرواة ذكروا كل شيء حتى أنهم لم يغفلوا عن ذكر أن ذلك كان ليلا وان البرد كان شديداً

(٣) زعم ان امرأة مالك كانت قد وهبت قلبها لزوجها وأزمعت ان تبذل كل مرتخص وغال في فدية زوجها فتزينت بحليها وحللها وذهبت الى خالد لتشفع لزوجها، فلما رآها عشقها واصدر أمره بقتل زوجها ودعوة إمام لعقد النكاح، وخلق لها عباءة كثيفة وزعم ان النساء يومئذ كن محتجبات وكان كشف وجوههن عاراً، وهذا كله كذب وجهل، فان الحجاب لم يكن له وجود في ذلك الزمان حتى في نساء المسلمين فكيف بنساء المرتدين؟ وانما حدث الحجاب بعد ذلك بزمن طويل، أنظر كتابنا (الاسفار في مسألة الحجاب والسفور) ولم يكن عقد النكاح يتوقف على إمام المسجد في بلاد العرب في ذلك الزمان ولا في هذا أيضاً وانما هي عادة من عادات المسلمين في الهند وفي كثير من البلاد الاسلامية، وليس ذلك بمشروع في الاسلام، ويكفي لعقد النكاح ان يشهد شاهدا عدل من المسلمين ولكن أهل البلاد المتحضرة يحضرون القاضي أو نائبه عادة وأما خالد فلم يكن له امام بل هو القائد والامام كما هي العادة في ذلك الزمان أن يكون الامير هو الامام، ولم يدخل خالد بامرأته في تلك الليلة بل تركها حتى تنقضي عدتها كما في ابن جرير مجلد ٤ص١٩٧

(٤) لو فرضنا ان أم تميم ذهبت الى خالد لتشفع في زوجها لما أمكن ان يتصور متصور حتى في هذا الزمن أن امرأة شريفة زوج أمير تتزين بما عندها

من حلي وحلل وتذهب في الليل البهيم فتدخل على رجل أجنبي يملك ناصيتها وتخلو به في خيمته ؟ لامور

(١) أن التجمل والتحلي أنما يكون وقت الفرح لا وقت الحزن ولا سيما في ذلك الوقت المصيب حين أحب الاحباب اليها تحت خطر الموت ينتظر كلة تخرج من بين شفتي القائد تحييه أو تقتله فتزينها في ذلك الوقت مما لا يعقله أحد يعرف عادات العرب وأحوالهم لانها لو فعلت ذلك لقضت على نفسها وعلى خالد ، إذ الخلوة بالاجنبية ولا سيما في الليل فسق موجب للعزل والتعزير، ولا يمكن لامرأة عرفت بذلك ان تكون زوجة لسيد من سادات العرب بل ولا من أوساطهم ولا لرجل عرف بذلك ان يكون أميراً لابي بكر

(ب) ان (الديمقراطية) عند العرب كانت في عنفوان شبابها ولم يكن الجنود يخضعون ولا يطيعون الامير اذا رأوا منه منكراً، والدليل موجود في نفس القصة وهو شيئان (الاول) أن بعض الجند وهم الانصار اختلفوا مع قائدهم خالد في التوجه الى البطاح [1] فقال لهم خالد لا كره أحداً منكم أما انا فذاهب فتخلفوا عنه وذهب، ثم بعد ذلك ندموا ولحقوا به (الثاني) ان أبا قتادة أعلن إنكاره على خالد في قتل مالك وأصحابه حتي ذهب مغاضبا له إلى المدينة واشتكي لابي بكر الصديق الخليفة ما رأي من خالد واستعان بعمر واجتهدا ان يحملا أبا بكر على عزل خالد. فلم يفعل

(ج) لو ان أبا قتادة ومن وافقه من الناقين على خالد وفيهم عمر بن الخطاب الذي كان كالوزير لابي بكر وكان إذ ذاك مجتهداً في حمل ابي بكر على عزل خالد وبقيت في قلبه حزازة على خالد حتي إنه حين تولى الخلافة عجل بعزله فلو أن أبا قتادة رأي خالدا قد خلا بامرأة مالك ليلا قبل عقد النكاح بل في حياة زوجها لاخبر بذلك عمر وكانت حجته قائمة على فسق خالد ثم لشنع عمر بذلك على خالد وألزم أبا بكر عزله فلا يجد منه بدا

(٤) ربما تكون العادة عند الاوربيين-قوم الكاتب- ان المرأة اذا أرادت

---

(١) أرض بني يربوع قوم مالك بن نويرة

ان تشفع عند أمير تجملت وتزينت وتغنجت وتدللت لتسبي قلب ذلك الامير فيقضي حاجتها، وأما العرب فان العادة عندهم على خلاف ذلك فان المرأة اذا ذهبت إلى رجل أجنبي ولو لم يكن أميراً تذهب اليه حزينة متبذلة باكية حيية خاشعة، وأما المرأة التي تتزين وتتبرج وتذهب للاجانب فهي في نظر العرب بغي فاجرة لاتتمكن من الدخول على الاشراف

(٥) زعم كراهام لويس ان تلك الليلة كانت ليلة هياط ومياط وأكل وشرب وسكر ورقص وخلاعة وبعار احتفالا بالنصر والظفر وقد زل حماره في الطين في هذا أيضاً، ولو أشرف باشرافة على التاريخ الاسلامي أو ألمَّ إلمامة به ولا سيما في أوله لعلم أنه كاذب ولخجل من نفسه (كما يقول الانكليز) قبل خجله من الناس. لو كانت الجنود المحمدية يامستر كراهام تحتفل عند الانتصار بالاكل والزمر والخمر والعهر ما أكلت جنود أسلافكم وسادتكم الذين استعبدوكم قروناً أعني الروم الجبابرة في ربع قرن أو أقل على قلة عددهم وعددهم

اني أرثي لجهلك يامستر كراهام وأتمنى ان تعلم ولو قليلا سيرة محمد وأصحابه الابرار الاطهار. أفتظن أن أصحاب محمد كأصحاب نابليون وكجنودكم في الوقت الحاضر كلما انتصروا فزعوا الى اللهو والفواحش كالدواب؟ ان أصحاب محمد كانوا يحيون لياليهم في معسكرهم بالصلاة وتلاوة القرآن اقتداء بنبيهم. إقرأ يا كراهام في سورة السجدة من القرآن (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون) ثم اقرأ في سورة الفتح (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود) ثم اقرأ في سورة الذاريات (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون * وبالاسحار هم يستغفرون * وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) وكذلك كان هدي نبيهم وإمامهم كما وصفه الشاعر بقوله

وفينا رسول الله يتلو كتابه	اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا	به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه	اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

(يتبع)

تقريظ المطبوعات (تأخر عدة أشهر)

كتاب المحلى للامام ابي محمد علي ابن حزم

من حسنات المطابع في هذا العصر أن يسرت لكل مشتغل بفقه الحديث أن يقتني كتاب المحلى مطبوعاً أحسن طبع على أجود ورق في أحد عشر جزءاً، بعد أن كان من كنوز أغنى الخزائن ، وأندر الذخائر ، وحسبك من فضله وعظمه شهادة سلطان العلماء الامام عز الدين بن عبد السلام انه هو والمغني لابن قدامة أحسن ما كتب المسلمون في الفقه ، فهي تغني عن وصفه و بيان امامة مؤلفه وفضله، وثمن النسخة منه ١٥٠ قرش وهو يطلب من طابعه الاستاذ الشيخ محمد منير الدمشقي ومن مكتبة المنار

﴿ كتاب الفتح الرباني — لترتيب مسند الامام أحمد الشيباني ﴾

(وكتاب بلوغ الاماني ، من أسرار الفتح الرباني)

الامام أحمد رحمه الله تعالى إمام أئمة السنة حفظا ورواية ودراية وفقها ، وجرحا وتعديلا، ومسنده أوسع الأصول في الحديث وأعمها فائدة ، والمسانيد موضوعة لحفاظ الحديث يشق على غيرهم الاستفادة منها ، فان كان تلاميذه منهم لم يحتاجوا الى ترتيب أحاديثه على أبواب كتب السنن كما فعل الحافظ أبو داود السجستاني من اعلامهم، فالفقهاء من أتباعه كانوا أحوج الناس الى ذلك، ونحن لا ندري هل وجد فيهم من قام بهذه الخدمة أم لا ، وانما ندري انه ليس في الايدي شيء من ذلك، وكأن الله تعالى ادخرها لاحد إخواننا أصدقاء المنار وهو الاستاذ الفاضل خادم السنة السنية الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، ولعمري انه لقد قاسى من العناء في هذا الترتيب مالم يكن يظن ان أحدا يطيقه في هذا العصر ، وسلك فيه سبيلا لم يسبق إلى مثله :جعل الكتاب كله اثني عشر جزءا، وكل جزء منه أربعين ملزمة (كراسة) من ملازم الطبع بالقطع الكامل. وعد أحاديث كل كتاب بالارقام واقتصر في السند على اسم الصحابي وطبعها بحرف كبير مضبوط بالشكل الكامل فهذا كتاب الفتح الرباني، وأما كتاب بلوغ الاماني فهو شرح وجيز له في أدنى الصفحات بحرف أصغر من حرف المتن. يبدأ فيه بذكر السند فتفسير غريب الحديث فالضروري من معناه فتخريجه، فحث المهتدين بالسنة على المبادرة إلى اقتنائه

﴿ سبب تأخر هذا الجزء من المنار وسيكون ما بعده أكبر وأحسن ﴾

أخرنا هذا الجزء، وهو الأول من هذا العام انتظارا لأجوبة المشتركين الذين خيرناهم في الجزء الماضي بين أكرم الخصال وأشرف الخلال، ولم أرض لأحد منهم إلا ما يرضاه الله عز وجل للذين اورثهم الكتاب من عباده المصطفين لدينه (فنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) ويؤسفنا أن كثيراً منهم رضي لنفسه ما لا يرضاه الله لأحد من أهل دينه ووارثي كتابه حتى ادنى الطبقات وهم الظالمون لأنفسهم، رضوا بأن يأكلوا حقه بالباطل سحتا واختاروه على أكله حلالا عن سماح ورضى، وعفو عما مضى، كما علم كل من قرأ الجزء الماضي، ومنهم من وفى واعتذر فقبلنا عذره، ومنهم من وعد وطلب النظرة الى الميسرة فأنظرناه، ومنهم من طلب العفو والسماح فسامحناه، ولكن أكثر مشتركي هذا القطر لما يردوا لنا جواباً فهؤلاء لانرسل اليهم هذا الجزء، وان جاز ان يكون بعضهم لم يقرأ خطاب التخيير بعد، وأما أهل الاقطار البعيدة ولا سيما جزائر الهند الشرقية فوعد رجع الخطاب منهم قد صار قريباً

وعدت بتجديد حياة المنار صورة ومعنى، فأما الورق فكما يرى القراء جودة وحسنا، وأما الحروف فلما يتم كل ما أوصينا عليها، وأما الصحائف فقد زدنا في هذا الجزء كراسة ونرجو ان نزيد فيما بعده أيضاً حتى يعود مجلده كما كان، اذكانت سنته اثنى عشر شهرا او اكثر - إن وفى لنا المشتركون في تجديد النظام، وصاروا يؤدون قيمة الاشتراك في اوائل العام، ونفتح لهم فيه الابواب الادبية والعلمية التي عزمنا عليها

ونحمد الله ان الذين يعرفون قدر المنار لا يعدلون به غيره من المجلات الدينية التي قلما يجدون فيها شيئا الا منقولا من الكتب المطبوعة الرخيصة يمكن ان يستغنوا به عنها، وما يجدونه فيه من حقائق التفسير وحل المشكلات بالفتاوى وغيرها لا يجدونه في غيره البتة، وانما يجدون شيئا تطمئن به القلوب، وتنشرح له الصدور، كما تراه في تفسير امر يعقوب عليه السلام أبناءه بالدخول من أبواب متفرقة، والحاجة التي كانت في نفس يعقوب فقضاها بهذه الوصية، فاقرأ جميع التفاسير من اقدمها الى احدثها ثم ارجع الى تفسير المنار، وكذلك سائر ما تقدم وما تأخر من هذه السورة وغيرها، واسأل عقلك واستفت قلبك في ذلك كله